رواية

الأسود والسُترة الصَفراء

فراجي زكرياء

"تعتقدونه شيء وهو أشياء أخرى"

الأسود والسترة الصفراء

رواية سوسيونفسية

فراجي زكرياء

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف: فراجي زكرياء

الكتاب: الأسود والسترة الصفراء

الصفحات: 134 صفحة

القياس: 14 x 20 سم

محفوظة جميع الحقوق

© المكتبة الوطنية الجزائرية 2019.

ردمك: 978-9947-38-207-3

فيفري 2019

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والنقل
إلا بإذن خطي من المؤلف أو من الدار

دار المجدد للنشر والتوزيع

02 نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية)- سطيف/الجزائر

036.82.58.09 /0550.96.31.19 / 0550.96.31.07

على الفيس بوك: دار المجدد للنشر والتوزيع

مقدمة

تعتبر هذه الرواية صورة بديعية في فن الكوميديا السوداء لكونها تمتاز بالذكاء والمرونة في تفكيك العقدة السوسيونفسية للفرد داخل المجتمع ، وكذلك يمثل هذا الكتاب صوت من أصوات المستضعفين في العالم العربي كما يعبر عن الواقع المظلم الذي يعيشه البائسون في إفريقيا وباقي الدول المتخلفة بآسيا و أمريكا ،كما أن هذا النص يمكن أن نقول عنه زادا معرفيا مبسطا لمن يريد أن يوسع مداركه في فهم علاقة السياسة بالمجتمع ،ويمثل أيضا رسالة وسطية إلى أنظمة الحكم التي لا تشعر بما يتكبده الفرد البائس في واقعه المرهق ، كذلك فمن جهة أخرى فإن الأفكار التي ما بين السطور تلمح إلى أنه

ليس هناك أي مخرج من المأزق السياسي إلا من خلال التشبع بقوة الفكر والثقافة والتشبث بالمبادئ الصادقة ، فرغم أن بعض العبارات قد توجه انتقادا صريحا لبعض شرائح المجتمع لكن لم تتهاون في أن تمس الحقيقة المرة في اغلب جوانبها أملا في تغيير المجتمع إلى الأفضل ما يؤكد على أهمية التعمق في مجريات الرواية وفهمها جيدا للوصول إلى الفكرة التي يريد الراوي بعثها للقارئ والتي يلخصها في سؤال بسيط، كيف تدور أحوال الناس من وراء الستار المزخرف بالورود والأوهام الكاذبة ؟

فراجي زكرياء / 17 جانفي 2019

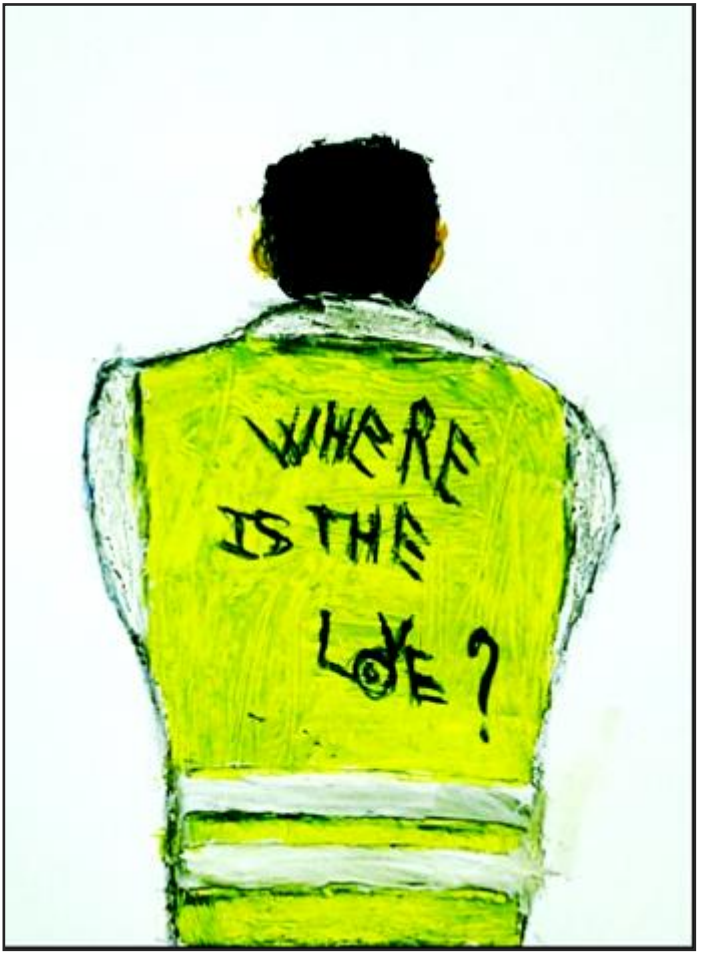

رسم بالألوان الزيتية من تصميم الكاتب فراجي زكرياء

نقطة مهمة:

يمكن القول بأن هذا الكتاب جاء بقفزة جديدة في الطرح الفكري بأسلوب غير متعود عليه في الساحة الأدبية نظرا لاعتماد المحتوى على المنهج السوسيونفسي في السرد ،هذا ومن جهة أخرى فإن المحتوى يحمل في طياته جنون الدراما والخيال أمام مرآة عاكسة للواقع بشكل جريء وسلس في الوقت نفسه ، وما هو أجمل في عمق هذه التحفة الأدبية أن القارئ يجد نفسه مرتبطا مع كل فصول النص من حين لآخر لتتلخص القصة في النهاية حول شيء واحد يعبر عن كل شيء تبعا لعبارة الكاتب على الخلفية بقوله:

"تعتقدونه شيء وهو أشياء أخرى"

صدر هذا الكتاب في شهر فيفري 2019 تزامنا مع

حركة السترات الصفراء بفرنسا وفي بعض دول العالم

أهدي هذا الكتاب إلى الذين مازلت

الأحاسيس يقظة في قلوبهم

الفاتح من ديسمبر

في الأول من ديسمبر 2018 اشتد البرد بشمال إفريقيا وفي نفس الليلة دخل المدعو بوليفيا إلى المنزل متأخرا على غير العادة ،انتزع حذاءه الأبيض بسرعة ورمى جواربه القذرة في الحمام ، فتح الثلاجة فوضع بداخلها علبة الحليب ثم توجه إلى الصالون ، وقف هنيهة يستحضر نفسه حتى اقترب من المائدة ليحط عليها كيس التفاح ، وبعدئذ جلس مباشرة على الكرسي يقابل جدته التي

تداعب القط بيديها وتتفرج على التلفاز ، كان في البيت دوما شعورا بالهدوء خاصة وأن أثاث البيت من النوع القديم الذي يبعث شيء من الحنين إلى القلب ،فبمجرد أن تدخل غرفة الجلوس تستضيفك مروحة جمالية معلقة على الحائط المقابل ولأنها كبيرة يمكن للمرء أن ينتبه إلى كل تفاصيلها ، تزينها سماء زرقاء صافية تحمل معها غيوما وردية وأخرى بيضاء يتوسطها طائران عظيمان كأنهما يحومان أمام شلال كبير ينبعث قربا من كوخ صغير يقع بأسفل جبال ضخمة مغطاة بأوراق الشجر المتدلية هنا وهناك تترك المتأمل يتتبعها حتى

يلتفت مباشرة إلى زاوية الجدران أين توجد

ورود عباد الشمس بلونها الأصفر الزاهي

لا تبعد كثيرا عن ساعة قديمة بداخلها ميزان

وتمثال صغير لرجل يضرب الجرس ، أما على

الجانب الأيمن يشرد الذهن مباشرة نحو تلك

المطرقة النحاسية المتدلية تحت لوحة لآية

الكرسي ، يقابلها يسارا رسما مؤثرا لطفل حزين

يذرف دمعة على خده كأنها قطرة ماء تحررت

من فم حنفية ، أما وسط الغرفة تعلو مائدة

مستطيلة من اللوح الأحمر قريبة تماما من سرير

الجدة ولا تبتعد عن الأريكة السوداء كثيرا،

وأحيانا من ينظر إلى الجدة وهي جامدة

في مكانها يحسبها رسما جميلا بتلك العيون الغائرة تلمع بريقها من بعيد ، يترسم سواد الكحل تحت حاجبيها ، أنفها كروي جميل وتجاعيدها مخطوطة بإتقان تضفي نوعا من الهيبة على بياض وجهها المنير ، قامتها القصيرة تتناسق جيدا مع جسدها النحيف، امتاز لباسها على الدوام بالبساطة ، يسترها فستان أحمر غليظ وعليه معطف صوفي أبيض كأنه مدفأة خاصة بالجدة في فصل الشتاء ، ينتبه بوليفيا إلى كل هذه التفاصيل عندما يدخل إلى البيت مرهقا ،ينظر إلى الجدة بحرقة كأن شعر بالغيرة من القط الأسود يتودد على عنقها

وهي تلاطفه بيديها المليحتين، تبتسم وهي سعيدة لكونها تملك حيوانا لطيفا أنيسا لها في وحدتها...تسرد عليه همومها كأنه إنسان بريء أو مختص نفسي خبير في شؤون الأسرة والمجتمع

...أخذت الجدة هي الأخرى تتأمل في حفيدها جيدا ، لقد كان نسخة مشابهة لها في كل ملامح وجهها غير أنه أسمر البشرة وعنقه طويل تبعا لطول جسده وأطراف ذراعيه ، بدا لها بذلك القميص البني كأنه جثة نحيفة تشبه رجل الحقول الذي يخوف به الطيور في المزارع ، وضعت يدها على فمها ثم تنهدت

تتحسر على تغير أحوال حفيدها ، فمنذ تخرجه من الجامعة وهو في حالة غير عادية في سلوكه اليومي ،غرفته مليئة بالفوضى ،أوقات نومه غير منظمة ، ولا يهتم بنفسه كالعادة ،شعره مجعد غير ممشوط ، أسنانه صفراء ويلبس قميصا غير مرتب جيدا ،متأكدة في نفسها أنه مبعثر الأعصاب ،يبدو حتما أنه غير مكترث لأي شيء في هذه الأيام الأخيرة ،فمن يرى التوترات المتصادمة في وجهه يشعر أن هذا الفتى يتقلب في الحياة مثل العجينة في يد الطباخ ، ولأنها عجوز مسنة تحب الكلام لم يعجبها بتاتا هدوء بوليفيا الغير العادي هذه

الليلة ، تنفست حيرتها وانتظرت بفارغ الصبر أن ينطق المدلل بكلمة واحدة ، فكل يوم تتمنى أن تجد الفرصة السانحة لتدخل في أغواره الغامضة فتقبض على الوحش الساكن بداخله...

لم تحتمل أكثر من دقيقة واحدة حتى بدأت تسأله مثلما يفعل محقق شرطة: كيف كان يومك أيها المعتوه؟

فرد بوليفيا كأن لم يعجبه السؤال: أسودا يا أماه ، أسود مثل هذه الأريكة والقط الأسود بين أحضانك...لاشيء جديد! ، سوى أن الهراء

يتكاثر علينا يوميا كأنه جراد شارد ضل طريقه

رفعت الجدة حواجبها: الهراء كثيف إلى هذه الدرجة ؟ ، أليس هناك أبدا أشياء ومناسبات جميلة مثلا؟؟

- بوليفيا: لاحظت أنك تمضين كل يومك في هذه الغرفة المعزولة ، لذلك لا أظنك تدركين شيئا من الواقع البائس الذي نعيشه في الشارع ، يخيل إلي أحيانا أنك لا تعيشين معنا...الأحوال خارجا ليست جميلة أبدا بينما أنت تقولين لي دوما أن هناك أشياء جميلة!

، هل تعتقدين أنني أكذب عليك؟

- الجدة: قلت ربما على الأقل يمكن أن يكون هناك شيء واحد يسر القلب، فرحمة الله لم ترفع بعد، ثم ما بها الأحوال؟ ، ليس هناك أزمات كثيرة ، كل شيء بخير!

ضحك بوليفيا سريعا وقال: أحقا الحياة بخير؟ لا ، لا ليست بخير أبدا، الناس فقط يحاولون العيش كأنهم بخير صدقيني ، منذ متى كانت الحياة بخير هنا؟؟ أخبريني!

– الجدة: نعم! ،ربما هناك بعض المشاكل ولكن الأمور تسير بخير ،لا أدري أنت بالضبط ما الذي يقلقك ؟

ضحك بوليفيا مرة أخرى ثم انطلق في تعبيره عن الوضع كأنه مذياع: أتعرفين شيئا؟ أنا شخصيا لست بخير! ، لقد ذهبت اليوم إلى الجامعة ولم تجهز وثائقي بعد ، شهاداتنا العليا لا تساوي شيئا ، انظري كيف هانت قيمة الجامعيين بالإدارات والشركات ، لقد أصبح المرء هنا يبيع نفسه ليحصل على قوت يومه ،اذهبي للسوق ربما تعرفين كيف تدور الأمور، ألف دينار لا تساوي شيئا مقابل ما كانت

تساويه قبل سنوات ، والأسوأ من ذلك لقد اكتشف الناس من حولي أمرا عظيما ، لقد انتبهوا أنني لم ألبس معطفا في هذا البرد... إلا أنا! ، نعم! إلا أنا فقط! ، لم انتبه لنفسي ، لقد تنبؤا جميعا بأنني سأسقط مريضا ، يتفلسفون في كل تفاصيل الإنسان الشخصية ، إلا أنهم لا ينظرون أبدا إلى تلك مشاكل التي يصنعونها بأنفسهم ، ولا يشمون أبدا رائحة الخبث من حولهم ، ينشغلون فقط بأين اختفى معطف بوليفيا؟ وإلى أين ذهبت الجارة سعاد؟؟ ، ثم حين لا يجدون حديثا يقتلون به أوقاتهم يختلقون شجارا في الحي فيهددون كل

من ينصحهم أو يختلف معهم..هل هذا حال يسرنا؟ هل نحن بخير؟

دفعت الجدة قطها بعيدا ثم قالت: أنت ترهق نفسك بهذه المشاكل التي لا تتغير ،ارفع يديك إلى السماء وقل ربي ساعدني! ، أنجدني! وستسهل أمورك ، أما في ما يخص انشغال الناس بالأمور الغبية فتلك هي طباعهم التي تربوا عليها ليست وليدة البارحة، وكذلك منذ سنوات بعيدة يتولد لنا في كل حي حقير يشوه الأجواء ، دعك منهم! إنهم مجانين لايدركون أنهم يشبهون طماطم متعفنة

سكن بوليفيا قليلا ثم قال: أنا لست قلقا أبدا من قضاء الله في المشاكل التي تخصني، ولكنني استغرب دوما في هؤلاء البشر كيف ضاقت عقولهم! ، يوميا ينشغلون فقط بالأمور التافهة في حين أن أحوالنا الاجتماعية ليست على ما يرام...لم أعد أطيق التكيف مع هذا الغباء الذي نعيش فيه...أشعر أننا متخلفون جدا...نتبادل نفس الهراء يوميا...والأغلبية على الدوام تنجر مع الأفكار المنحطة... لا أحد يبالي ، وقليل من يهتم بما يحدث من فساد، وفي الوقت نفسه يود الجميع أن تكون

الحياة طيبة وجميلة....هاهاها! كأن السوبرمان في خدمتهم....اللعنة!!

لملمت الجدة وجهها كأنها لا تصدق ما يحكيه بوليفيا عن الواقع ثم قالت: ليست الأمور سيئة إلى هذا الحد! ،أنت من عادتك التشاؤم من كل شيء...فمنذ قليل سمعت في الأخبار أن هناك إصلاحات جدية في الحكومة والعديد من المشاريع ستكون جاهزة عن قريب لفتح مناصب جديدة وسمعت بأذني كيف أكد وزير العدل على ضرورة مكافحة الفساد بواسطة آليات حقيقية ومتطورة

رد عليها بوليفيا بسرعة: هاهاها...هاها! ،

يا جدتي! أنا كل يوم أخبرك أن الإعلام

لا يصور للجماهير سوى الأخبار الجميلة كي

يخدر النفوس ويتلاعب على العقول ليعتقد

العالم أننا نعيش في رفاهية مثل هولندا والنرويج

، من الواضح جيدا أننا في أزمة ، وليس هناك

إصلاحات ولا أي شيء، من غير المعقول أن

تكافح هذه الحكومة فسادا ينبع من الثقوب

التي فيها...الحياة هنا تسير في الاتجاه

المعاكس للمنطق ، القوي فينا يأكل الضعيف

والعلا لمن سهر في الملاهي ، دائما ما أشعر

أن مقدمة الأخبار تكذب علينا...فكل يوم

تخبرنا أن هناك مشروع توظيف لآلاف الشباب وإنجازات ضخمة بينما لا أرى في واقعي أية مشاريع حقيقية...لقد شبعنا من الأكاذيب ...وفهمنا جيدا أن النجاح في هذا الوطن لا يكون إلا من نصيب الحثالة ولاعقي الأحذية وذوي الإعاقة الفكرية

هدأ قليلا ثم قال: وإنني لأتعجب كيف تتابعين نفس القناة كل يوم! ، من الواضح جدا أنهم لا يقولون الحقيقة لكنك تصدقين كل شيء ، من المفروض أن تصدقيني أنا فقط، لأنني حفيدك المبجل الذي لا يكذب عليك أبدا

وإنني أفسر لك كل شيء بموضوعية وبصراحة تامة ، هل تعلمين أن السكر الذي نشتريه بمئة دينار يباع في السوق العالمية عشرين دينار؟؟ ، ونيجريا التي نضحك عليها أنجزت أكبر مستشفى في إفريقيا! ، وأخبرك أيضا أن القهوة المحلية مغشوشة! ، نعم مغشوشة! ، كأنها ممزوجة بتراب مطحون ، ولو نقارنها بالقهوة الأوربية فقط سنكتشف أن قهوتنا غير صالحة للشرب ، لكننا نشربها بكل صبر لأنه ليس هناك خيار آخر

...بينما يتكلم بوليفيا بغضب عن الأشياء التي تدور في رأسه تبين له أن النعاس قد استرق

وعي الجدة وكان يتكلم وحده مثل الببغاء ،فلما انتبه لأنه يتكلم لوحده...ضحك قائلا: هاهاهاها ، لقد نامت! ، المسكينة! تعتقد أن كل شيء بخير! ، ما زالت البراءة تلعب على قلبك يا أماه! ، تعتقدين دوما أن الحياة كما كانت في أيام السبعينات والثمانينات ، نحن الآن نعيش حياة أخرى صدقيني! ، لا يمكنني أن أفسر لك كل شيء هذه الليلة ، أحلامك سعيدة!

أطفأ التلفاز ثم أحضر لها غطاءا ، دخل إلى غرفته ، شم قميصه فتقزز من نفسه وقال: آه!

أنا أسيل عرقا وكذلك رائحة الدخان في المقهى تفوح مني...اللعنة! يجب أن آخذ حماما سريعا

مباشرة اتجه بوليفيا نحو الحمام ليسخن الماء...فسمع جدته توصيه مكررة: لا تنسى أن تملأ إناء القط بالماء!...لقد عجزت عن النهوض لتفقده

بوليفيا: حسنا!...حسنا! سأفعل ذلك! ، لا تقلقي!! نوما هنيئا!

فتح بوليفيا الحنفية ليملأ الحوض بالماء ولكن لا يوجد ماء فقال: ..تبا!!

غلق الحنفية وفتحها مرة أخرى فسال قليل من الماء وتوقف...أحس بالبؤس يجري في عروقه...فأخذ يلعن شركة المياه :

...اللعنة عليهم لا يقطعون الماء إلا عندما اتسخ واحتاج للنظافة...كأنهم يشمونني من بعيد...سحقا!!

في تلك اللحظة جاء القط إلى الحمام ليطمأن على الماء في إناءه...ضحك بوليفيا وقال له: لا تقلق عزيزي! سأعوضك بعصير التفاح

***

استرجاع الذكريات

لم يكسر بوليفيا رأسه كثيرا فترك الاستحمام ليوم غد وفضل أن يختم ليلته بفنجان قهوة يريح بها أعصابه المتوترة منذ الصباح، من الواضح جدا أنه محطم في بدنه والتعب يكاد يمتص ما تبقى من دمه، تحت عينيه ذبول شديد، كأنه لم يأخذ راحته منذ ستين سنة ،حمل فنجانه إلى غرفته الضيقة بجدران يتيمة من الجماليات و الألوان ، وقف بضعة ثواني ثم جلس قرب مكتبه المربع بصورة خريطة

العالم وعليها قلم أسود متآكل الرأس وجملة من الكتب مدفوعة إلى الآخر كأنها عجوز مسنة بأوراقها القديمة التي تبكي من النسيان، بعضها يكاد يسقط للأسفل بمجرة هزة واحدة ، وكعادته وضع بوليفيا هاتفه على الطاولة ثم اخرج صرف النقود من جيبه وبعثرها قرب الفنجان...خمسون دينار وقطعتين من خمس دنانير فقط ، حمل الخمسين دائرية الشكل وأخذ يلعب بها فوق الطاولة فلا يتركها تبرح يده حتى يجعلها ثابتة على القاعدة، وبعد ذلك يهبط برأسه يكتفي بالتأمل فيها بحثا عن السكينة للتركيز على شيء ما يدور في رأسه

المكدس بالمشاغل ، تنفس هنيهة ثم ضرب القطعة على وجهها الغزالي ليتجه مباشرة نحو النافذة بحثا عن متنفس واسع ، تنصت قليلا لصراخ أبناء الجيران وهم يجلسون على حائط عريض مقابل لوجه العمارة ، تصور نفسه بينهم وهم يتسامرون على لعبة النرد في وقت متأخر من الليل ، لم يلبث طويلا حتى عاد إلى كهفه ليعلق قميصه البني فوق الكرسي الأبيض المتسخ بآثار قهوة متدفقة وخربشة لكتابات غير واضحة بالقلم الأزرق ، جلس على سريره يتأمل في البلل على ظهر ذلك القميص فإذا به يسبح بحزن في مستنقع عرقه ما جعله يشرد

بنفسه ليسترجع الذكريات السيئة التي مرت عليه في هذا اليوم النحس ، لقد كان يوما بائسا مظلما ، إلى الحد الذي وصل فيه بوليفيا يفكر في أن ينام ولا يستيقظ أبدا

ΔΔΔΔ

رحل الملعون بذهنه إلى مجرى الأحداث
كأنه يشاهد فيلما حقيقيا على قميصه القذر،
وبينما هو جالس على سريره بتلك الهيئة واضعا
يده على رأسه وجد نفسه يتذكر كيف شعر
بالملل صباحا عندما كان جالسا في الإدارة
الجامعية يحلم بلستخراج شهادته النهائية فعلى
الرغم من فوات شهور على تخرجه لم تقدم له
أوراقه الخاصة بكشف النقاط السابقة ، لقد
كان غاضبا في تلك اللحظة ويسأل في نفسه
متى يجيء هذا الموظف القذر إلى المكتب؟ ،
قلب صفحات هاتفه على صفحة الأخبار
ولا شيء جديد في هذه الساعة ،

تأفف وانشغل مرة أخرى بلعبة الكترونية حتى شعر بالأرق ، وبعد مضي ربع ساعة دخل الموظف إلى مكتبه متثاقلا لو إذا ما أقبلت على وجهه تظهر لك حبات العمش ملتصقة برموش عينيه كأنه لم يشبع نوما منذ أن كان صغيرا ، وجهه متداخل بخدود حمراء ذو أنف منطوي على نفسه أكلته البرودة ، وبمجرد أن لمح الموظف وجود بوليفيا تظاهر أنه مشغول ببحث عن ملفات مفقودة ، من يراه يحسب أنه يقلب على إبرة في كومة قش، وفي الحقيقة نعم! ، لقد نسي الأبله حقا أين وضع الملفات لأنه لا يؤدي عمله بانتظام ، فاكتفى بالوقوف

يفكر كالذي يعصف عقله في اختراع قنبلة نووية أو عالم ينوي صناعة دواء للقضاء على مرض السرطان ،وحين لم يجد شيئا طلب من بوليفيا أن يصبر عليه قليلا ريثما يصعد إلى الغرفة العليا ويعود فورا ، وفي الوقت نفسه دخل شاب لم يسبق لبوليفيا رؤيته في الجامعة ،وقف ذلك الشاب منتصبا بقامته وسط غرفة المكتب ويوجه نظرات حازمة نحو الموظف، لم يشأ الشاب أن ينتظر كثيرا ثم قال للمتصرف: هل عرفتني من أكون؟

رفع الموظف بصره يحاول أن يأخذ حكمه على الشاب كأن شاهد جنيا خرج من مصباح

سحري ، بحيث يظهر على الشاب من خلال هيئته أنه شخص هادئ، جسمهـ مرتاح بقميص برتقالي اللون عليه معطف كلاسيكي أزرق ، وجه مشدود بملامح الثقة ..لحية مرتبة جيدا ويحمل معه محفظة متناسقة مع قامته المتوسطة ، أما السروال فقد كان يبدو لامعا بلونه الرمادي الفاتح والذي يظهر كأن قد تم كيه قبل دقائق ، ويرتدي أيضا حذاءا أسودا يثير صوتا مهما على الأرض كأنه تعبير عن مشكلة ما في انتظار مناقشتها فورا ، فمن خلال هذه الأوصاف تأكد للموظف بأن هذا الشخص

لا يمكن إلا أن يكون رجل منضوي في إحدى مؤسسات الدولة..

ارتبك الأعمش بعض الشيء كأنه لم يطمئن لهذا الشاب أو تذكر مشكلة ما على الهواء فرد بشكل مضطرب: نعم ، نعم! ... عرفتك! ، أمهلني دقيقة !

حاول المتصرف أن يربح شيئا من الوقت ليفتش في هذا الشاب المثير للشكوك ، رجع يتظاهر مرة أخرى بالبحث عن الملفات إلى أن كرر لبوليفيا مجددا بأنه سيصعد للطابق العلوي وهناك سيجد جزء من الملفات ربما يكون فيها بعض الكشوف ، فخرج من الباب مسرعا

كالذي سرق شيئا وتهرب دون أن يحدث أي انتباه

...عاد بوليفيا إلى هاتفه يقلب الصفحات بحثا عن أي أخبار جديدة أو منشورات مهمة يصبر بها نفسه ،أما الشاب بقي واقفا يخرج إلى الرواق ثم يعود فيرفع رأسه إلى السقف مستغربا في التشققات على الركن العلوي، ثم يهدأ هنيهة ويلقي بعينيه إلى الخزانة وينظر بتهكم في ذلك المكتب المسكين المنهك بالأوراق المبعثرة قرب الكمبيوتر ، وحين لم يجد شيئا مهما ليشغل به وقته جلس على كرسي كان قريبا من الباب ثم وجه نظره إلى بوليفيا مباشرة

وقال: أمازالت هذه الإدارة تعرقل الطلبة في الأوراق؟؟

بوليفيا: تبا لهم! منذ أن ولدنا ونحن نعاني من هذا العنف الإداري

فقال الشاب: نعم! ، هذا هو جزاء المواطن الصالح للأسف!..أنا أيضا منذ مدة طويلة أبلغتهم عن خطأ في كشف النقاط لكنهم لا يهتمون أبدا ، لذلك قررت هذا اليوم بأن أصعد لهجتي على ذلك الموظف النذل علما أنني اليوم عضو في خلية الحزب الديمقراطي الموالي للحكومة ، فإما أن تحل مشكلتي هذا

اليوم أو أضطر لإجراء اتصال مع أحد أكابر الحزب وبدون شك لن يترددوا في التدخل لحل هذه الزبالة ، صدقني صديقي! ،ليس هناك خيار آخر سوى الانضمام لأحزاب الموالاة ، لقد رأيت أن اعتماد هذه الطريقة تساعدنا بشكل سحري في قضاء أمورنا بالإدارات والبلديات...

توقف الشاب عن الكلام ثم أضاف: نعم!، صحيح هذه الحكومة التي نحن مشاركين فيها فاسدة...لكن ليس هناك حل آخر!...يجب أن نتصرف هكذا...فهذا هو واقعنا اليوم! ، الغاية تبرر الوسيلة!

صمت بوليفيا مستغربا في ما يسمعه من كلام غير عادي من قبل هذا الشاب الصريح ، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يتردد في طرح سؤاله: لكن هل تعتقد أن هذا الأسلوب شيء طبيعي بالنسبة لك؟؟ ...ثم إلى متى سنعيش هكذا بدون مبادئ على الدوام؟ ، وهل تبدو لك فكرة جيدة؟

الشاب: نعم!! أنت محق في كلامك..إننا للأسف نعيش مثل الحيوانات المتوحشة في غابة الأمازون و لكن!.. ، لا أظن أن هناك خيار آخر...لقد كنت من قبل مواطنا عاديا فكنت أتعرض للاحتقار والظلم في كل

مكان...لهذا اضطررت اليوم إلى سلوك هذا التصرف علما إنني اليوم احل كل مشاكلي بسهولة دون أية عراقيل ،لا أكلف نفسي سوى اتصال واحد من الأمين الولائي وتسير الأمور كما تشتهي السفن

بوليفيا: اللعنة على هذه الحياة!... رغم أني اختلف معك ، لكن!...لكن! ، لا يهم فهذه هي الحقيقة ، أصبحت الحياة تقف مع الأقوى فقط ، كأنه حقا ليس هناك أبدا حل آخر!

فتح الشاب حقيبته وقال: انظر! أنا الآن أملك عدة بطاقات في النضال مع الحزب وكذلك لدي ارتباطات مع عدة مؤسسات في المجتمع

المدني وربما أنت تعرف جيدا بأن الشهادة وحدها لا تكفي أبدا لفرض كلمتنا، ولكن! بنفوذ السلطة سأضغط على الموظف وسترى كيف تفك العقدة!

بوليفيا: جميل! ، جميل! ، ممتاز!! ، يبدو أن مسارك طويل بدون شك؟؟

الشاب: نعم! ، مسار طويل ومليء بالتعب، لهذا تغير تعاملي مع الواقع فأصبحت لا أبالي بالمبادئ ، ما إذا كنت تراني مخطئا يمكن أن تقنعني برأيك ، ليس هناك فكرة مجدية أنا متأكد! ، مهما عصفت رأسك فليس هناك أي فكرة ممكنة لحل هذه المشكلة

بوليفيا: لا ادري! حتى وإن كنت أدري فأنا لم أعد ادري شيئا!.. أرى بأن كل شيء أصبح مقلوبا في هذا الوطن ومن العادي جدا أن تمشي مقلوبا أنت أيضا ، ثم إنني لست هنا لأحكم عليك...

صمت بوليفيا ثم عاد يقول للشاب: لكنني جديا أقدر صراحتك كثيرا..فالغاية تبرر الوسيلة هاهاها...هاها

في تلك اللحظة التي ضحك فيها الحائر التعيس دخل الموظف يحمل ورقة إثبات التخرج قدمها لبوليفيا لتمدها إلى إدارة كريمة في جامعة أخرى

...مسك بوليفيا تلك الورقة ثم قال: تبا!

سأمضي حياتي انتقل بالأوراق بين كريمة وخيرة وخالتي الزهرة، فقط من أجل الحصول شهادة كرتونية لعينة لم تعد أبدا مهمة في زمن الجهل والغباء

حمل بوليفيا الورقة ونهض يبتسم في وجه الشاب ، شكره على حسن أدبه أثناء الحوار ثم انصرف إلى مصلحة التدريس ليثبت وجوده في العالم

ΔΔΔΔ

...بعد أن أثبت بوليفيا وجوده الجامعي بالمصلحة أخذ طريقه مباشرة إلى مكتب التشغيل أملا منه في العثور على منصب عمل هناك...وما أن وصل إلى المقر الرئيسي وجد شعبا غفيرا يطلع على العروض ، كأن تلك العروض تحتوي على مناصب متوفرة بالجملة في كل مكان وزمان...فتسلل بين الجميع كي يأخذ نظرة على اللوحة ، ولكن ما أن أدخل المسكين رأسه وسط البطالين حتى وجد أغلب العروض تطلب منصبين فقط وبخبرة تتجاوز ثلاث سنوات...ضحك بوليفيا بصوت مرتفع حتى التفت إليه الذين كانوا حوله ثم قال:

يا للعجب! ، نفس الهراء على طول السنة...قال تشغيل قال...بحق الذي خلق السموات والأرض إنهم ليسخرون منا بهذه الطريقة...هل هكذا يجب أن يعامل ذوي الشهادات؟؟ ، إزدحام من اجل مناصب قليلة وفوق ذلك راتب شهري زهيد...كأننا نعود إلى عهد الاستعباد في زمن "كونتاكينتي" ...تبا! ، ولدنا ثم أصبحنا رجال فقط لنكدح من أجل رفع ثروة البورجوازيين، عليهم اللعنة جميعا ، تبا لها!

خرج بوليفيا من الازدحام تاركا وراءه حزمة من البطالين ينتظرون دورهم لتسجيل أسمائهم عند

الكاتب الإداري ، عاد إلى الوراء ينظر إليهم ثم حدث نفسه: يا رب! ، متى تعود الحياة إلى مجراها؟؟ متى يا ترى؟

أقبل على الانصراف دون أن يبدي أدنى اهتمام بالعروض الشكلية وقبل أن يخرج من المكتب قال لبعض الشباب: قدموا لأنفسكم قيمة عالية! لقد احتقرتم قدراتكم فاحتقروكم بالرغم من أنكم تحملون أعلى شهاداتكم... اللعنة! ، من سيفهمني؟

شعر بوليفيا بخيبة أمل فاستحوذ عليه اليأس والقنوط من هذا المجتمع المغيب في وعيه ،

فذهب يسب في قلبه كل أشكال الاستغلال التي تحدث في الواقع: سحقا!!

تحسر قائلا مرة أخرى: مجتمع مريض حقا! ، ترى المرء هنا يمشي على الجمر بإرادته ويساند سياسة الاستعباد بشكل غريب كأنه من الضروري جدا أن يرضى الشباب بهذا النوع من التشغيل الاستغلالي القذر، هل هذا هو الطريق الصحيح الذي يجب أن يتبعه المرء لبناء حياته؟؟

هدأ ثانية ثم قال: إذا كنا نتعب لنعيش في نفس التعب لماذا نتعب أنفسنا إذن؟؟

...واصل طريقه إلى حيث لا يدري ثم وقف هنيهة يتساءل: تبا!!! ، أين يجب أن أذهب الآن؟؟، فتذكر أن اليوم يصادف الفاتح من ديسمبر وهو آخر أجل لدفع فاتورة الكهرباء ، لقد مر على الفاتورة شهرين كاملين ولم يدفع المبلغ المطلوب حتى الآن ، قد سبق وتركت له الجدة مبلغا مع الفاتورة يوم أوصته بالدفع ، لكنه أسرف النقود في مشاغل أخرى وقد وجد نفسه اليوم في السوق الكبيرة واقفا بحزن شديد يحمل معطفه الثمين للبيع ، كان السوق مكتظا نوعا ما تزامنا مع يوم السبت أين ينزل الكثير من الرجال للتسوق ومزاولة البيع

والشراء، وما يميز ذلك السوق أنه يمكن للمرء أن يجد فيه ما يريد من ملابس مستعملة وأدوات إلكترونية وحتى مواد التنظيف وأشياء منزلية مختلفة بكل الأنواع والأثمان ، بدا معطف بوليفيا ملفت للانتباه بلونه الأسود والأبيض ألماني الصنع وهو أغلى شيء جلبته له العمة من الخارج ، لكن أغلبية من يتقدم إليه يكتفي بالنظر أو يقدم مبلغا بخسا غير مجدي ولا يساعد بوليفيا البتة ، فاستمر واقفا قرابة ساعتين دون أي أمل في بيعه بخمسة ألاف دينار، شعر بالبرد يسري بين عضلاته ، فاختار أن يتحمل ساعة أخرى خير من أن يتم

قطع الكهرباء في المنزل علما أن الجدة لا تحب ذلك أبدا ، دس الغضب في صدره ثم شدد في نفسه قائلا: لا يهمكم سأبيعه الآن ، المهم أن أبيعه بأي ثمن...

وقف صابرا بحزم شديد، فرغم ضعفه كان يبدو قويا باهيا من خلال وقفته الشامخة بقميصه البني وسرواله الجينز الأسود متماسك بعضلاته جيدا على حذائه الأبيض، تشبث بصبره إلى أن تقرب منه كهل يبدو عليه أنه ذو خبرة في التجارة ، أخذ الرجل يقلب المعطف بعينيه الكبيرتين الملتصقتين بأنفه الممدود فوق شاربيه، ثم تفقد مقاس المعطف بسرعة ،

وبعد أن تأكد للكهل أنه معطف جيد قال لبوليفيا: أعطيك ألفان في هذا المعطف!

لم يستحسن بوليفيا هذا الثمن فاسترجع معطفه من يد الزبون ثم قال له: انظر معطف غليظ ودافئ مثل هذا تساومه بألفين فقط ؟؟

تبسم الرجل وقال: لا تنسى أنه مستعمل! ، هذا ينقص ثمنه بعض الشيء

حك بوليفيا رأسه ثم قال: نعم هو مستعمل لكن ليس أكثر من شهر.. لا يبدو قديما ، أنظر!

تبسم الرجل وقال: أزيدك خمس مئة ودعني أذهب به إلى البيت!!

رد عليه بوليفيا دون أن يفكر: أربعة آلاف! ، أريد أربعة آلاف! أظنه ثمن معقول جدا مقارنة بسعره الحقيقي

ضحك الرجل قائلا: ها..هاها...هاها! ، أنت تريد المحال يا رجل ،سأعطيك ثلاث ألاف لن أزيدك فلسا واحدا!

بوليفيا: ارفع الثمن قليلا فقط !! قليلا!

الرجل: لن أقدم لك أكثر من ثلاث آلاف، ثق بي! هذا كل ما لدي !

عقد بوليفيا حاجبيه يحاكي نفسه من الداخل بألم: تبا! ، لا يستحق أبدا أن أبيع هذا المعطف بثلاث آلاف، على الأقل أربعة آلف ستكون مقنعة نوعا ما ومجدية

اعتصر المسكين في قلبه لدرجة أنه عاد يتذكر حاجته للنقود لدفع الفاتورة ، بدا مترددا في البداية ثم قال للرجل: حسنا ، حسنا! أعطيني الثلاث آلاف! ومبروك عليك!!

دفع بوليفيا ألفي دينار للفاتورة واحتفظ بألف في جيبه ، شعر براحة كبيرة في قلبه بعد تخلصه من هموم الكهرباء ، ورغم أن الألم

فتت قلبه في السوق وقد جمد البرد أطرافه

إلا أنه تصور في خياله أن يكون المساء

جميلا...سيمر على الحلاق ثم يشتري فواكه

لذيذة للجدة...ولكن ما أن قطع الطريق حتى

تصادف فجأة بثلاث من أصدقاءه المقربين

متجهون نحو المقهى ، التفت إليهم دون

يحدث أي انتباه ، فتأكد أنهم لمحوه من بعيد

، لم يجد أية طريقة يتهرب بها منهم، تكمش

في وجهه اللحظة وهو يقول في نفسه: تبا لهم!

، لقد رأوني !

..لم يشأ بوليفيا أن يظهر ضعيفا أمام أصحابه خاصة وأنه لم يلتقي بهم منذ مدة طويلة، استجمع قوته وتقدم نحوهم ثم سلم عليهم: أهلا!...كيف حالكم أصدقائي؟

– كيف حالك بوليفيا؟؟ ، لم نراك منذ مدة؟ ، قيل لنا أنك هاجرت لأوروبا وتتضامن مع السترات الصفراء!!

– هاهاها بخير!...بخير!، في أحسن الأحوال ، لقد هاجرت إلى الموزمبيق فقط ، هذكل شيء!

– ها..هاهاها...هاها !، جميل جدا نحن سعداء بلقائك!

تبسم بوليفيا ثم قال: وأنا سعيد جدا! ، أنتم تعرفون!.. فالقلوب عند بعضها هاهاها

صمتوا ثانية ثم قال أحدهم : إنها فرصتنا لنتبادل الحديث معا ، منذ مدة طويلة لم نجتمع هكذا يا أصدقاء ، لا تقل لي أنك مشغول بوليفيا! ، إنه يوم سبت ، ليس هناك أية أشغال هذا المساء ، ستشاركنا القهوة هيا، هيا بنا !

ابتسم بوليفيا يخبأ همومه واستغرق يحاكي نفسه بغضب: اللعنة! لقد تهربت منهم كثيرا ...لا علينا سأجلس معهم هذه المرة...ليس هناك أي عذر..ستحترق الألف في المقهى بدون شك...ليس هناك خيار آخر

رد بوليفيا وهو يحافظ بإحكام على ابتسامته فقال: : نعم! نعم! ، ليس هناك ما يشدني ، لندخل هذه المقهى!

جلس بوليفيا مع أصدقاءه في المقهى يتبادلون أطراف الحديث عن صدفة هذا اللقاء وآخر مستجدات هذا الأسبوع علما أن عبد القادر

شاب جامعي ذو لحية كثيفة سمين الجسد ناشط في جمعية الإصلاح أما أحمد فهو متزوج وموظف تقني بشركة للاتصالات يقارب سن الأربعين وفي ظاهره تحسبه مسنا بنظاراته وشاربيه الطويلين ، في حين أن خالد ثلاثيني ولكن يبدو صغيرا جدا بوجهه البشوش وصوته الرقيق ، وشاءت الصدفة أن يكون هؤلاء الأصدقاء متشابهون في حبهم للمعرفة وتجاذب الحديث في الواقع والسياسة والتغيير والصراع الفكري الدائر في المجتمع....

أحضر النادل الطلبات للأصدقاء فأخذ أحمد السكرية لتحلية قهوته ثم قال: كيف تدور السياسة من حولك بوليفيا؟؟

رد بوليفيا قائلا: هاهاها! نفس الشيء...نفس الكلام...نفس الهراء...نفس الخرافات والترهات...نفس الأنفاس...نفس الاستبداد...نفس الشقاء...ألا لعنة الله على هذا الموقع الذي نحن فيه...تبا لها!

قال احمد: ما بك؟ يبدو أنك متوتر جدا هذه الأيام !

– بوليفيا: ليس توتر بقدر ما هو ضياع في وسط مجتمع مدجج بالغباء واللاوعي ، ثم ماذا تريدني أن أقول لك بعد كل الذي نراه ونسمعه؟ ، لا يمكننا سوى التعليق على الأحداث ثم العودة إلى كهوفنا في الليل دون أن يتغير شيء...

– خالد: يبدو أن هذا قدرنا! ، أن نعيش تحت القهر إلى أن يسقط علينا نيزك ويأخذ الأرض وما عليها

ضحك احمد وعبد القادر ثم قال هذا الأخير: ليس هناك حل يا صديقي سوى أن نتأقلم مع الوضع ونحاول تغيير الأمور على قدر طاقتنا

– بوليفيا: تأقلم مع الواقع لوحدك عزيزي! ، فلاشيء سيتغير بهذه الطريقة التي تحلم بها في رأسك...التأقلم لم يكن أبدا الحل المناسب لمشاكلنا العفنة

– أحمد: إذا لم نتكيف مع الوضع ما الذي سنفعله غير ذلك؟

رد بوليفيا مباشرة: تكيفنا فتألمنا ولا نشهد أي تغيير سوى أن يتسع المستنقع لمفاسد جديدة

ونعيش كالضفادع نقفز في الحياة من كذبة إلى أخرى ونجري وراء أطياف الحظ كأننا جراد ضل طريقه...إنه لوضع حقير جدا...ولأننا ضعفاء في قلوبنا عدنا نتعمد أن لا نرى ولا ننتبه ونقول كل شيء بخير

يضيف خالد مدعما قول بوليفيا: كلما تكيفنا مع الواقع الأعرج تبين كم نحن أغبياء وجبناء...نعيش محتقرين في وجودنا الكوني والعالم...رضينا بموقعنا الضعيف ونربط ضعفنا بانتظار تدخل دور الإله...في حين أن الله لا يبارك قوما يتراجعون للوراء...هذا غير ممكن!

– عبد القادر: هل هناك حل آخر غير النضال في الجمعيات والأحزاب ؟؟ ليس هناك سوى هذا الحل السلمي الذي يمكننا من بعث الوعي والدفاع عن حقوق المواطن

– خالد: وماذا قدمت هذه الأحزاب والجمعيات للمجتمع سوى النفاق والنهب والوعود الكاذبة؟؟

– عبد القادر : وأنت بصفتك مواطن ماذا قدمت للجمعيات و الأحزاب سوى أنك بعيد عن الميدان؟

– خالد: وهل يتركوننا نعمل بحريتنا في داخل أحزابهم...إنهم لا يريدون من المناضل سوى الانتماء ثم الانقياد بالطاعة الكاملة للقيادة العليا في التنظيم الحزبي...هل تعتقد أننا أغبياء أو عاجزين لدرجة أننا لا نريد المشاركة في التنظيمات المدنية ، ها قد اقتربت الرئاسيات! ، ألم ترى أن جل الأحزاب كانت غائبة عن المشهد السياسي!؟ لا يظهرون إلا حين تقترب الانتخابات

– بوليفيا: خلاصة القول كل شيء يدور حول نفسه داخل متاهة مغلقة بالفساد والتشرذم

واللامبالاة... لا أدري كم سنحتاج للوقت حتى نخرج من هذا المأزق

– احمد: لكن المسؤولية الأولى ستبقى على عاتق المثقف والنخبة التي تملصت من خدمة المجتمع وراحت تجري وراء مصلحتها الشخصية فقط

– خالد: المثقف غير مرغوب فيه داخل مجتمعه كما يمارس عليه الإقصاء والتهميش ، وحتى القمع في بعض الأحيان مما يدفعه للهجرة إلى الخارج مباشرة وهناك يقدم خدماته ببراعة لصالح دول أخرى ، فمن الداني؟

ضحك بوليفيا فقال : هاها..هاهاها ، هي في الحقيقة معادلة صعبة فالجماهير تخذل النخبة الراشدة لما يكون هناك معارضة حقيقية...ثم هذه الجماهير نفسها تلوم النخبة حين تترك السياسة ، كلاهما يعيشان أزمة سوء ظن ، إنها حالة من الوسواس بين الجماهير والمثقفين في هذا الفضاء السياسي

– خالد: ولو أنك تحلل نفسية الجماهير من ناحية معارضة الفساد ستصل إلى نتيجة مفادها أن الانهزامية هي أكبر مسيطر على الأفراد...ولكن من ناحية أخرى إذا قمت

بمقارنة بين نسبة التفاؤل والتشاؤم

في المجتمع..ستجد أن التفاؤل غالب على

كثير من الأفراد...يعتبرون هذه الحالة السيئة

أفضل مما هو أسوأ

– بوليفيا: إذن لم تكذب السلطة حين أعلنت

في الجريدة بأننا أسعد شعب في العالم؟

– احمد: لا ينبغي أن نلوم الجماهير فهي

بطبعها ضعيفة وتحتاج دوما لنخبة تقودها إلى

الطريق المناسب من اجل التغيير الناجح

انفعل بوليفيا قليلا فأدار كأسه بقلق فقال:

كيف لا نلوم الشعب؟ ، أليس هو الحكومة ؟

...حسنا بالله عليك أخبرني !..من هم الفاسدون الذين نجدهم اليوم في كل مكان؟...لم يسقطوا علينا من المريخ!!...إنهم من الشعب ، في رأيك من يصفق للمستبد؟ من يبجل الفاسقين في الصحافة والإعلام؟...من يحب التذلل ويرضى بهذا الشكل الدنيء من نمط الحياة..من أين جاء الاستغلاليون؟ ، من الذي يقزم العلم؟ من الذي ينهب من أموال الدولة؟

تنهد وأضاف: ثم أين هو الذي؟؟ يقول لا ، لا للغش...لا للظلم مهما كانت العروض؟؟ ،

بكل صراحة لقد غلبت علينا الإغراءات والأنانية ، وعندما يرتفع صوت الحق الكل يحاول التستر على نفسه بتبرير الخراب ، لذلك نحن نستحق العيش في هذا الهراء لأننا نعرف جيدا واجبنا اتجاه الأرض والإنسان ، إلا أننا نحن من يتعمد التفكير بشكل معاكس إلا من رحم ربي ، وإن دنيا اليوم هي دنيا المصالح والطمع...لا مبادئ عند كثير من البشر صدقوني! ، كما يقال في المثل: "الجميع يعرف الحقيقة ولكن نحب سماع الأكاذيب"

_ خالد: نعم بوليفيا محق!...نسبة كبيرة من الحماهير تشارك في هذه المهزلة بدرجة كبيرة...لقد اندمج الكثير من الأنذال مع سياسة الفساد والجريمة المنظمة ،ولو أن أفراد المجتمع التفوا جميعا حول الرجل المناسب وساندوه بجدية لخفت الهموم وتيسرت الأمور ، ولكن! الأغلبية اتفقت على أن لا تبالي بشؤون المجتمع اعتقادا منهم أن الفساد أصبح إلها لا يقدر عليه أحد

_ عبد القادر: لهذا إنني كعضو في جمعية الإصلاح أدعو دائما إلى نشر الوعي الاجتماعي وتشجيع ثقافة المطالعة

وأظنه الحل المناسب لإعادة العقول إلى صوابها من حلال توعيتها بالواقع السياسي وترشيدها نحو الأخلاق والمبادئ ، ثم إن هذا ما نعول عليه في تنمية الفرد وإشراكه في بناء الحياة السياسية بين معرفة حقوقه وتطبيق واجباته دون أي تعدي على حقوق الآخر

_ احمد: نعم! ، إنها لفكرة جيدة! ، كما أنه مشروع حقيقي يستحق الدعم والتشجيع لكونه طريقة مثمرة بدون شك

_ خالد متهكما : هاهاها ، مازلتم تدورون في نفس البؤرة! ، لا احد يطالع في هذا الوقت...فأغلب الناس مشغول بهمومه في

الأسرة والعمل والجامعة والموضة الجديدة

وكذلك ترى الآباء يتعذبون من أجل الحصول

على حليب "أوبي" لأولادهم

ـ بوليفيا: خاصة عندما أصبحت اليوم المطالعة

شوفونية اجتماعية فايسبوكية ...حيث لم نعد

نقرأ من أجل تطوير العقل...بل عدنا نقرأ لنبيع

الأوهام لبعضنا...نقرأ الترهات فقط لنراوغ

بالسفسطة على من يذكرنا بالحقائق

المهمة...معادلة عكسية ضد الحقيقة ، لهذا

السبب لا أظن أنها فكرة ناجعة هذا الزمان

فرغم أني من الذين يحبون الفكر والفلسفة ،

لكنني استبعد هذا الاحتمال في تغيير أفكار

الناس ، إلا في حالة واحدة ، عندما نتدرب على القراءة بمنهجية موضوعية بعيدا عن التعصب والأدلجة

_ أحمد: للأسف! ، مهما تفلسفنا...فهو أمر معقد بامتياز!

_ بوليفيا: أحيانا أعتقد أن الذين لم يفهموا شيئا عن حقيقة الوجود والإنسان والسياسة هم الذين فهموا كل شيء في زمن أصبح المجد فيه لمن لا يعرفون

_ عبد القادر: لا تتركوا الأمل يموت فيكم يا أصدقاء!

- خالد: مات والسلام!

- عبد القادر: وهل ستمضي ما تبقى من حياتك على هذا النحو من اليأس؟ ، ستصاب بالجنون! ، يجب أن يكون لديك أمل كي تستمر!

- خالد: نحن نستمر شئنا أم أبينا! ، ولكن لم يعد لدي رغبة في أي شي، عدت أكره وجودي هنا، لم أعد أطيق هذا النمط البائس من العيش!

- بوليفيا: المشكلة ليست في البؤس
ولكن للأسف عقولنا تصحرت فلا نحن
نعرف من نحن ولا ندري حتى ماذا نريد

– أحمد: دعونا نغير الموضوع! لطالما
تحدثنا كثيرا في هذه المسائل ولا شيء
تغير حتى الآن ، لقد تعبنا من هذا
الهراء... أخبرني! ،أخبرني بوليفيا هل
لديك فكرة عن معهد لتعلم اللغة
الإنجليزية ؟

بدل الأصدقاء حديثهم فذهبوا يتكلمون طويلا عن اللغات وخدمات جديدة في الإنترنت وغير ذلك من التقنيات المهمة في الكمبيوتر حتى ساد الظلام في المدينة ، ثم ارتفعت أصوات الزبائن في المقهى وهم يهتفون بهدف أول لفريق برشلونة ضد فريق مدريد في كلاسيكو الليغا الاسبانية

ضحك خالد حينها ثم قال: هذا هو التغيير الاجتماعي! ، هاهاها هاها !

نظر عبد القادر إلى ساعته فقال: استسمحوني! ، سأذهب الآن! ، تأخر الوقت نلتقي في فرصة أخرى إن شاء الله

فنهض الجميع و قال خالد: نعم ، نعم!

سننصرف جميعا!

لم ينتظر بوليفيا من أصدقاءه أن يدفعوا ، وحتى لا يجلب الحرج لنفسه تقدم إلى النادل وسأله عن الحساب فكان أربعمائة وتسعون دينار، هنالك تقطع نصف قلب بوليفيا ، لكنه لم يتوانى عن التبسم حتى يؤكد للجميع أن الأمور على ما يرام

ΔΔΔΔ

تفرق بوليفيا عن أصدقاءه في منتصف الشارع ، وما أن أخذ طريقه بمفرده هب يلعن نفسه: "اللعنة عليك بوليفيا! هل كان يجب أن تشرب معهم قهوة أيها الغبي.؟ ، هل كان يجب أن تدفع أنت؟ تبا لهم جميعا! انظر لنفسك أنت الآن! لا تحمل معك سوى خمسمائة وعشر دنانير ، هل تدرك انك في حال لا يحسد عليها؟؟ ، سحقا سحقا! إنها اللعنة!"

أخذ نفسا عميقا ثم قال: لا يهم، لا يهم !!

دخل بوليفيا إلى الحانوت القريب من البيت ، فلما لاحظه البائع صرخ قائلا: أووو!! بوليفيا كيف حالك ؟؟

- بوليفيا: بخير! ، بخير عمي العربي!
- العربي: أخبرنا أين كنت ؟؟ منذ مدة لما نسمع لك حسا! ، لم تعد تظهر للعيان أبدا!
- بوليفيا: آآآ فقط إنها الدراسة! ، الدراسة تشغلني ، لا غير!
- العربي: هاهاها...هاهاها..هاها! ، هذه الدراسة ستأخذكم إلى جهنم...إن جيل اليوم ليتعذب في الجامعة ثم في النهاية يتخرج من أجل الجلوس في البيت

تجنب بوليفيا الحديث في الموضوع لأن هذا الأمر يثير أعصابه فقال: نعم...نعم! ، أعطيني كيس حليب وكيلو تفاح!

- **العربي: على الرأس حبيبي!! ولكن! ..أعتقد أن أكياس الحليب نفذت**
- **بوليفيا: حسنا! ، أعطيني حليب علبة!**

قدم بوليفيا خمسمائة دينار ولم يرد له البائع سوى خمسين دينار ثم قال له العربي: لا تنسى أن تلبس معطفك! ، هذا البرد لا يمزح ، ستمرض وأنت ترتدي قميصا واحدا فقط

...وفي اللحظة نفسها دخل كهل إلى الحانوت وقال: نعم! ، نعم سيصاب بنوبة برد تبقيه في الفراش ويندم

لم يبالي بوليفيا بنصيحة العربي ، انصرف يحمل كيس التفاح وعلبة الحليب ثم أخذ يسأل عقله: كيف سيستطيع المرء هنا أن يؤسس أسرة و يتزوج ويعيش أيام سعيدة؟ كيف يريدون من الإنسان هنا أن يكون كائنا طبيعيا في ظل هذا الغلاء الفاحش...تبا!! ، حقا هذا هراء كبير!

قلب رأسه بالأسئلة إلى أن وصل مدخل الشارع الذي يسوقه نحو المنزل فوجد مباشرة جملة

من السيارات متوقفة على الطريق كأن هناك مشكلة ما ، فما الذي يحدث؟

هرول بوليفيا مسرعا وسط السيارات فإذا به يرى الجار "حاج عيسى" بلحيته البيضاء ونظاراته البنية يصرخ غاضبا ويتعارك مع المدعو "باجيو" ، جاء الناس مسرعين وسبقهم بوليفيا فتوسط بين الرجلين فقال الحاج عيسى غاضبا: تبا لهذا الحقير "باجيو" ، اليوم سأعلمه كيف يحترم الرجال، كيف لا يخجل من نفسه فيشرب الخمر مع أصحابه أمام البيت كل ليلة و فوق ذلك يهددني حياتي!

أما المدعو "باجيو" ذو الشعر المشدود والعينين النائمتين أخذته العزة بالإثم فراح يستعرض عضلاته بجسده القوي فيشتم السيد عيسى بأشنع الألفاظ...

عندئذ غضب بوليفيا أيضا وقال: عار عليك! ، انتبه لنفسك أيها القذر!، ألا ترى أنه مريض وكبير؟؟ ، ثم إنك تبالغ كثيرا في خلق المشاكل

كان باجيو تحت تأثير الأقراص فلم يعجبه كلام بوليفيا فقال له: وأنت أيضا ما دخلك في شأني أفعل ما أريد وأنا الذي احكم العمارة هنا ، تبا لكم جميعا!!

فقال بوليفيا منفعلا: عليك اللعنة إلى يوم الدين! ، تبا لك أيضا!!

شعر الشاب بالغضب أكثر كأن لم يحتمل تدخل بوليفيا في الموضوع فأخرج من جانب سرواله خنجرا يهدد به طعن بوليفيا...

لمس الفزع قلب بوليفيا ،لكنه تماسك بعض الشيء وحاول أن يجد شيئا ما ليدافع به عن نفسه فلمح عن قرب منه حجرة سوداء ، توجه إليها مسرعا فوضع الكيس أرضا ثم حمل الحجرة قائلا: عليك اللعنة!، اقترب فقط وسأدفنك حيا!!

فكر الشاب قليلا فتراجع عن تهجمه ، وفي الوقت نفسه تدخل بعض الشباب الذين كانوا يلعبون الكرة ، حيث نزلوا مسرعين إلى الشارع من أجل فك الشجار وهكذا ساهموا في تفرقة المشكلة بسلام قبل أن يسوء الأمر أكثر

وضع بوليفيا الحجرة جانبا ، حمل كيسه وذهب متجها مع الحاج عيسى إلى العمارة فقال هذا الأخير: تبا له!! لقد عكر علينا الأجواء، سامحني يا ولدي! لم أشأ وضعك في ذلك الموقف

ابتسم بوليفيا ثم قال : لا عليك عمي! ، أنت جار كريم! ، كيف لا أتحرك والأمر يخصنا جميعا في العمارة؟

– الحاج عيسى:لا أحد يبالي بالأمر للأسف! ، وخشيت أن أتصل بالشرطة فتتأزم الأمور أكثر أو أتعرض للاعتداء غدرا من قبل هؤلاء المغفلين

– بوليفيا: نعم للأسف هذه مشكلتنا! ، كل جار أصبح يغلق على نفسه ليتجنب الخصام مع الآخرين، أصبح الوضع مريعا لدرجة أن الجميع يخشى النهي عن المنكر فيقومون بضربه أو الاعتداء على بيته

– الحاج عيسى: أنا كبرت ولم أعد أقدر على شيء، سأوكل أمري لله وإذا مكنني الله فإني سأفكر في الرحيل قريبا، لا أجد الأمان في هذا الحي

مسح بوليفيا رأسه ثم قال: هون عليك عمي! ، سيمر كل شيء!

رد الحاج عيسى متأسفا: إلى متى أصبر؟؟ لقد مللت! ، مللت كثيرا ، لقد تغيرت كثير من الأشياء هنا ولم أعد أتحمل..

سكت الحاج هنيهة ثم قال: دعنا منهم الآن! أستضيفك لتناول العشاء معي ، الطعام جاهز بدون شك!

شعر بوليفيا بالخجل فقال لجاره بأنه يريد أن يرتاح قليلا ، فلم يشدد الحاج عيسى عليه فدخل بيته ممتنا وهو يدعو الله له بالسعادة والحياة الواسعة

مشى بوليفيا إلى البيت سعيدا بالموقف المشرف الذي تصرفه الليلة وما أن صعد الدرج في العمارة انطفأت الأضواء ، فقال: لم يبقى إلا هذه المصابيح كي تأخذ نصيبها مني ،تبا لها!

لكن عندما وصل إلى الطابق الثاني اشتعلت الأضواء مرة أخرى ليظهر فجأة أمام بوليفيا شخصا واقفا مقابلا لركن الجدران ، فمن خلال مظهره الخلفي يتبين أنه مجهولا أو مجنون نظرا لأنه لا يتحرك ولا يتكلم ،يضع رأسه أرضا تماما مثلما يفعل اللص حين تقبض عليه الشرطة ، تساءل بوليفيا في رأسه من قد يكون هذا الشخص ؟ ، وبمجرد أن اقترب منه ولى إليه الرجل بوجهه الأسود المربع وبأنياب مكشرة مع عينين بيضاويتين كالسكر ، تقابض معه بوليفيا واستطاع أن يدفعه بعيدا عنه ،إلا أن

الرجل تشجع مجددا وتهجم على بوليفيا

فتلبسه وأصبح بوليفيا هو ذلك الرجل

الاستيقاظ من الحلم

استيقظ بوليفيا مهلوعا: تبا!! تبا!! إنه كابوس يا إلهي! ما هذه الرؤيا السوداء ؟؟...كيف نمت البارحة؟؟ ، يا الله!! لقد مر الليل بسرعة!

مسح وجهه بيده ليهدأ من روع نفسه ثم شغل هاتفه كعادته ككل صباح يتطلع على آخر المستجدات في الفايسبوك فظهرت له بعض الأخبار الجديدة: (السترات الصفراء تقلب الأجواء في باريس ، ورئيس الحكومة يعلن أن المرحلة المقبلة ستكون صعبة على الشعب،

نجاة سبعة من الشباب المهاجر في القوارب وفقدان عشر آخرون...)

قال بوليفيا في نفسه: يا رباه! في هذه البلاد لا نسمع سوى الأخبار السيئة!

بينما هو يقلب صفحات الهاتف حتى شاهد شيئا غريبا في الشاشة ،يظهر على وجهه أنه غير طبيعي ، نهض مسرعا إلى المرآة: يا للهول! إنها بقع سوداء في وجهي! ما الذي حدث.؟

..تذكر بوليفيا رؤيا الرجل الأسود التي استيقظ عليها قبل قليل...شمر على ذراعيه فوجد

السواد منتشرا في كل مكان بجسده...رفع كم سرواله قليلا فقال: تبا!!

إنه سواد غريب لم يسبق أن شاهده في حياته ، كأنه حبر متدفق تحت جلده ، ارتبك بوليفيا من نفسه فلم يجد كيف يتصرف سوى أنه عاد جالسا على سريره يشد رأسه ويخمن في ما الذي يدور من حوله؟ ، تنهد وقال: لا ينقصني سوى هذه المصيبة ، ما هذا الوباء؟ يجب أن أزور الطبيب فورا!...أنا لم افهم شيئا !؟ ، يجب أن لا تراني جدتي في هذا الحال فتصاب بالدهشة

ارتدى معطفا أحمرا غليظ الجلدة وقديم اللون ، أخذ أيضا قبعة سوداء جميلة لم يلبسها من قبل، ارتدى نظارات سوداء ، ورغم كل هذا التنكر إلا أن البقع الداكنة لا تزال بارزة على خده الأيسر ويديه

حرك رأسه مستغربا ثم قال: لا يهم! ،سأتكفل بالأمر! ، ففي حال وجدت مشكلة مع الناس في الشارع، سأقول لهم أنني كنت أدهن باب البيت بالأسود وتلطخت...

حمل هاتفه والخمسين دينار التي كانت على الطاولة...لم يفكر حتى في أن يشرب قهوة الصباح....وقبل أن يخرج بوليفيا من المنزل

حاول التأكد من أن جدته منشغلة...فتح الباب دون أن يحدث أي ضجيج ولكن لسوء الحظ لحقه القط الأسود إلى الباب وأخذ يموء عليه...ضربه بوليفيا برجله وخرج مسرعا

اخذ المشوش طريقه متنكرا دون أن يلتفت يمينا أوشمالا حيث أصبح كل همه أن يصل إلى المستشفى بسرعة وهو يأمل في أن يخرج من هذا الكابوس بسلام...كان بوليفيا يمشي للأمام وهو يفكر في كيف يسدد مبلغ التذكرة الخاصة بالعيادة...وبينما هو شارد الذهن سمع صوتا ينادي من بعيد...محمد ... يا محمد!!

...التفت وراءه فشاهد من بعيد رجلا واقفا قرب شاحنته ينادي على بوليفيا ، تظاهر هذا الأخير انه لم يسمع شيء وأخذ يقول في قلبه: من الواضح أن شاحنته توقفت ويريد مني مساعدته! ، تبا له لماذا أساعده أنا بالضبط؟ ، وهل سأساعده الآن؟ هاهاها! ، ثم إنني في حالة سيئة ، لست في مزاج جيد يسمح لي بالعودة وراءا

...واصل بوليفيا مسيره والرجل يناديه من بعيد...توقف هذه المرة في منتصف الطريق...خاطب ضميره مرة أخرى: يبدو أن لا أحد في الشارع ليساعده!

فكر قليلا ثم قال: نعم !! يجب أن استجيب له! ، لا يجوز أن أتركه!

عاد بوليفيا طريقه للوراء وأشار للرجل من بعيد بأنه قادم فركب الرجل في شاحنته وطلب من بوليفيا أن يدفع المركبة من الخلف

...نظر بوليفيا إلى تلك الشاحنة مستغربا في أمرها، بدت قديمة جدا كأنها غير صالحة أبدا للاستعمال فضحك وقال في نفسه: هذه شاحنة ضخمة كيف سأدفعها وحدي؟؟ ، لا يهم،لا بأس بالمحاولة!

استعصت الحافلة على الإقلاع فاستجمع بوليفيا كامل قواه ودفعها للأمام فكانت المعجزة أن تحركت وذهب الرجل سعيدا وهو يشكر بوليفيا على المساعدة ، لقد شعر هذا الأخير بسعادة كبيرة في قلبه لدرجة انه تصور نفسه باتمان حقيقي، لكنه لم يلبث حتى شعر باضطراب في نبضات قلبه وسيطر عليه الإرهاق بشكل غير مسبوق فركع بجسمه إلى الأسفل يحاول الصمود ، وبينما هو ينظر للأرض وقعت عيناه على مئتا دينار تلمع على الأرض ، فاختفى عليه الألم فجأة وعادت الروح لبدنه، شاء القدر أن يرزقه هذه القطعة

ليستطيع دفع تذكرة العلاج ، يا للعجب!

،استقوى الأسود من جديد وأخذ يدفع نفسه

خطوة بعد خطوة حتى وصل إلى المحطة

...انتظر قرابة ربع ساعة ولم تأتي الحافلة ،

ثم وقفت بجانبه امرأة تبدو على وجهها

الأصفر أنها متعبة وكبيرة في السن ،سألته عن

سبب غياب الحافلات فقال لها: أعتقد أن

العمال في إضراب بسبب اصطدام الخطوط،

ولأن المرأة لم تفهم شيئا مما قاله بوليفيا غيرت

الموضوع وبدأت تحكي له عن قلقها على

زوجها في المستشفى وكم هي متشوقة لزيارته

ثم راحت تسرد المشاكل التي يسببها أولادها

يوميا وكيف تغيرت أحوال الأسرة بين قديم الزمان والوقت المعاصر ، لم يكن بوليفيا مكترث أبدا لحديثها سوى أنه كان يهز رأسه ويقول لها نعم! ، نعم..معك حق

لقد حاول السيطرة على ارتباكه قدر المستطاع ويتساءل في نفسه كل دقيقة عن ماهية المرض الذي انتشر في جسمه ، فينتظر في أي لحظة أن تسأله المرأة عن تلك البقع السوداء في وجهه

...عندما تبين أن الحافلات غير ممكنة هذا الصباح أوقفت المرأة سيارة أجرة، ركب معها

بوليفيا كأنه قريب إليها في محاولة للتهرب من الدفع ، والغريب أن السائق لم يشك في أي شيء ،راحت المرأة بعدئذ تواصل توضيح قصتها لبوليفيا ،فشرحت له أسباب دخول مياه الأمطار إلى بيتها وكيف استيقظت ليلا فقامت بتنظيف البيت ،كانت حكايتها محزنة إلى أن قاطعها صوت المذياع بعدما شغله السائق، فاستفتحت مقدمة الأخبار نشرتها بوفاة دكتورة في المستشفى بسبب لسعة عقرب بعد ثلاث أيام من المعاناة ، وفي خبر آخر تم القبض على امرأة بحوزتها بندقية ومخدرات ، ثم تتابع

بعد هذه الأخبار تصريح للوزير الأول يقول بأن الأيام المقبلة ستكون صعبة على المواطنين

لاشيء هز مشاعر بوليفيا من هذه الأخبار سوى تلك الدكتورة المسكينة التي لم تلقى أي اهتمام منذ أن دخلت المستشفى ، فقال في قلبه متحسرا: من المحزن جدا أن تنتهي حياة الدكتورة عائشة بذلك الشكل من اللامبالاة ، هل هكذا نحترم المثقفين؟ ، للأسف!! كل يوم أتقزز مما يحدث في هذه البقعة الفاسدة...

ثم قال بأعلى صوته : هذا خبث شنيع الذي نعيش فيه!

فردت المرأة قائلة: سحقا لهذا الوزير! ،نحن نعيش في أيام أشد صعوبة فكيف يتحدث عن صعوبة الأيام القادمة ، تبا لهم جميعا! ، أكلوا كل شيء ويريدون نهب ما تبقى للمواطن في جيبه ، اللعنة!

فقال السائق : نحن شعب مكسور! ، ننشغل بترميم حياتنا يوميا...حتى أنه لم يعد لنا في دنيانا أحلام وأهداف...فغايتنا الكبرى هي أن نأكل...نلبس ونسكن فقط .

...ثم أضاف: لقد نسي هؤلاء القوم أن الدنيا دار فناء و طغوا في البلاد ، لكن سيكون لهم

مكان جميل في جهنم ،الجحيم مصير مناسب لكل فاسد قذر!

...وعلى هذه العبارة توقف التاكسي أمام المستشفى فنزلت المرأة ونزل بعدها بوليفيا فكان حساب العداد مائة دينار ، قدم بوليفيا النقود للسائق وفرحت المرأة بهذه المبادرة، انصرفت هي إلى اليمين و ذهب هو إلى طريق آخر ، كان يريد التهرب من الدفع في أول الأمر لكنه لاحظ أن هموم المرأة تبدو أشد من همومه ، تنهد بعمق ثم قال: الحمد لله! لم يسألني أحد عن هذا السواد في وجهي ، أتمنى أن لا ألقى إزعاج من أي أحد!

ΔΔΔ

دفع بوليفيا مئة دينار أخرى عند الكشك واستلم تذكرة رقم 17 في انتظار دوره للعلاج...ثم جلس يتأمل في أحوال المرضى المساكين ويحسب في عقله كم بقي له من النقود في جيبه...فسائق الأجرة أخذ مئة وتذكرة العلاج مئة...قلم يبقى معه سوى خمسون دينار التي ردها له الحانوت ليلة البارحة ،وبعدما انتهت الحسابات في رأسه ذهب يتخيل ويحلم بتغير حياته من السيئ إلى الأفضل في يوم ما...لقد كان الجميع يتبادلون الحديث حول همومهم ، ويتذمرون من سوء

التعامل في المستشفيات، إلا بوليفيا لم يحرك ساكنا كأنه حجرة سوداء ثابتة ما لها مع البشر أية علاقة ، فبعد دقائق قليلة فقط نادت الممرضة على الرقم 16 فلم يجب عليها احد ..أعادت النداء: رقم 16 ، ولا احد يرد

فقالت: يبدو أن صاحب هذا الرقم كان هنا وانصرف...إذا! ليتفضل رقم 17 ، ليتفضل مباشرة!

لم يكن يتوقع بوليفيا أن دوره سيأتي بهذه السرعة ،نهض دون أن يلتفت لأي أحد ودخل

غرفة الكشف ،وضع قبعته جانبا ثم مد ذراعه للطبيب وفتح أعلى قميصه ثم قال:

أنا استيقظت هذا الصباح فوجدت لون جلدي غير طبيعي وهو يتغير إلى سواد عجيب بملمس غريب ورطب جدا ، لم أفهم شيئا!

وقف الطبيب مهلوعا بعدما شاهد ذراعي بوليفيا سوداء بشكل غريب ، تحكم الطبيب في نفسه ثم قال سحقا!! ،جلدك غير طبيعي، لا أدري؟؟؟ كأن جلدك يتآكل ليتحول إلى حالة ما! ، هل تتألم ؟

بوليفيا: نعم! ، أشعر بألم شديد من حين لآخر

الطبيب: يا للهول! ،هذه أول مرة يزورني مريض بهذه لحالة ، كأنه وباء نادر يسبب تشققات!

جلس الطبيب في مكتبه يفكر ثم قال: أتعرف شيئا؟؟ لم اعرف مرضك! ، إنها تبدو حالة خطيرة وغير عادية ، سأكتب لك رسالة عاجلة إلى مصلحة العلاج لتحجز لك غرفة في العناية إلى غاية كشف مرضك، ربما يكون طاعونا معديا أو شيء هكذا ، أنا لست ادري ما هذا الذي يحدث معك؟ ، إنه غريب! غريب جدا! ، آسف ، لا استطيع التصرف!

نطق بوليفيا مرتبكا كأنه لم يعجبه تفسير الطبيب ، فقال: حسنا!...حسنا! ، سأزور عيادة أخرى

لم يترك بوليفيا للطبيب أية فرصة ليرد عليه وانصرف مسرعا إلى الخارج ، حاول الطبيب أن يلحقه ،لكن المريض هرب بخطوات متسارعة جدا

نزل بوليفيا الدرج قائلا: اللعنة!، كنت اشعر بذلك ، انه أمر غير عادي! ، يجب ان أعود إلى غرفتي الآن وبأسرع ما يمكن ...زاد من حدة سرعة أقدامه حتى بدا مضطربا في مشيته

،التفت الناس ينظرون إليه لكنه لم ينتبه لهم

إلى غاية أن وجد نفسه يقف أمام محطة

الترامواي ،ولأنه لم يشتري تذكرة الذهاب وقف

ينتظر ويفكر، فما أن نزلت فتاة شابة تبدو

جامعية تتبعها بوليفيا بعينيه حتى رمت التذكرة

في السلة هناك ،فأخذ تذكرتها وصعد مسرعا ،

ثم جلس في اقرب مكان فارغ أمامه

..نزلت أمطار غزيرة في تلك الساعة وأخذ

بوليفيا ينظر من النافذة ،كأن الجو يعبر عن

سوء أحواله هذه الأيام ثم سمع عجوزا يقول:

برك مائية في كل مكان...كأنه فاض علينا

تسونامي، وهي ليست إلا أمطار فقط !

وبينما السكون يسود الترام صعد متشرد في المحطة التالية يبدوا من خلال عينيه واحمرار وجهه أنه سكير ،يمضي ويتسلل بين الركاب ، يتسول الناس نقودا بينما هم يشعرونه بالتقزز لما يقترب منهم ،وعلى المباشر أيضا ظهر من وراء نفس المتشرد متشرد آخر يحمل منشفة قذرة يمسح بها نوافذ الترام كأنه يقوم بتنظيفها

هز بوليفيا رأسه ثم قال بصوت خافت: كيف لك أن تعيش بشكل متوازن مع هذا الهراء؟

وعندما اقترب المتشرد من بوليفيا صرخ هذا الأخير بصوت شرس: اذهب إلى جهنم تبا لك!

تزامنا مع هذا الغضب لمح بوليفيا من بعيد امرأة حامل واقفة أمامه فراح يسأل في رأسه: تبا لهؤلاء الركاب! لماذا لا يتركون لها مكانا لتجلس؟

حتى انتبه لنفسه انه من الجالسين ، فقال: اه! اللعنة! لقدت فقدت صوابي!

تقرب قليلا من الباب وترك المرأة تجلس مكانه ثم أخذ ينظر إلى وجهه على بوابة الترام

فقال في نفسه : جيد! ، لست أسودا بالكامل ، علي التحكم في غضبي إلى غاية الوصول إلى البيت

مرت بضعة دقائق حتى دخل المراقبون يراجعون تذاكر الركاب ، نظر إليهم بوليفيا ثم بدأ يقول في نفسه: تبا لهم! يلعبون دور الاستخبارات على الركاب كأنهم يبحثون عن مجرم حرب

وطبعا في نفس اللحظة قاموا بالقبض على شاب لا يحمل تذكرة فقال لهم ذلك الشاب: لا املك ثمن التذكرة! ، فاجتمعوا عليه يوبخونه

ويهددون بنقله إلى الشرطة.، فقال لهم: أنتم سافلين تمارسون القوة دائما ضد الضعيف فقط ، هيا خذوني إلى الشرطة! ، ولا تنسوا أيضا أن تراقبوا الاختلاسات في البنوك والتي يدفعها المواطن من جيبه ، ملاعين ومعتوهين أنتم! !

...نزل بوليفيا وترك المراقبون مع الرجل يأكلون بعضهم ليدخل بسرعة إلى الشارع الرئيسي الذي يقود إلى الحي ، أصابه السعال فشعر ببعض التعب كأن التشققات تنخر جسده من الداخل فما أن وجد قارورة أمامه ضربها بكل غضب

ΔΔΔ

توترت أعصاب بوليفيا فضرب قارورة مياه معدنية كانت عن قرب من رجله فاصطدمت مع الجدار بقوة شديدة حتى ارتفع صوتها كأنها قالت لبوليفيا: "ما ذنبي أنا أيها الأسود اللعين!"

في الوقت نفسه تقدم أحدهم إلى القارورة وتعمد ردها برجله إلى بوليفيا

فقال بوليفيا في نفسه: تبا! إنه صديقي القديم ، فريد المجنون! ، أصبح مختلا ومزعجا

بشكل مقزز ،لو يطلب مني نقودا هذه المرة سأغرس رأسه في النفايات!

تقدم فريد قليلا وهو يرد شعره الرطب إلى الوراء ، تفتحت عيناه الكبيرتين جيدا ثم أخذ يصطك أسنانه كمن يفكر في شيء يريد الحصول عليه فورا ، لقد أحس فريد في اللحظة بأن بوليفيا غاضب فعانقه ثم اخذ يراوغه في كلامه: "كيف حالك أيها الفنان!؟ تبدو قلقا وأسودا في وجهك! ، لا تقلق بوليفيا!! فالحياة هنا لا تحبنا أن نقلق أبدا، ابتسم للدنيا تبتسم إليك حبيبي!"

- **بوليفيا: نعم! ، نعم!! انظر أنا أضحك معك! هاهاها...هاها...هاهاها!**
- **فريد: جميل!، جميل ، أحب أن أراك هكذا**
- **بوليفيا: وأنا أيضا أحب أن أرى نفسي أضحك هاهاها ،انظر تبا لك! ،أنا ابتسم ما الذي يبتسم لي؟ أخبرني؟**

...أضاف بوليفيا: خسئت يا فريد! أنا أعرف بالضبط ما الذي تريده ، قل لي انك تريد نقودا! وسأعطيك نقودي...

أخرج بوليفيا شيئا من جيبه ثم قال: خذ هذه خمسون دينار! هذا كل ما لدي اليوم ، لا تقلقني!

شعر فريد بالغضب لأنه يريد مئتا دينار

فقال له بوليفيا: تبا لك! ،أنا لست والدك ، هاك خمسون وابحث عن مئة وخمسون سحقا لك! ، اغرب عن وجهي!

تخاصم بوليفيا مع صديقه حتى فك الناس بينهما

...رمى فريد الخمسون دينار على الأرض

وذهب يشتم بوليفيا ثم قال: "إنكم جميعا ستذهبون إلى الجحيم " عليكم اللعنة!! هاهاها!

رتب بوليفيا قميصه ونفض سرواله، ثم حمل الخمسون دينار وانصرف حزينا على هذا الوضع السيئ الذي انقلب عليه صديقه

...حقن المسعول كل الغضب في صدره إلى أن مر بقرب من مخبزة على بعد خطوات فقط ، توقف ليشتري خبزتين فوجد جمهورا غفيرا يكتظ على مدخل المخبزة ، انتصب في مكانه ينظر إلى الطابور ثم ضحك قائلا:
هاها...هاهاها....تبا لكم جميعا!. نعم تبا

لكم! ، لا ادري متى سأحضى بفرصة لشراء الخبز معكم؟ ، إذهبوا إلى جهنم!

لمحوا فيه بشفقة ظنا منهم انه مصاب بجنون مؤقت أما بعضهم رد عليه قائلا: تبا لك أنت وحدك أيها المغفل!

فيرد بوليفيا مستهزءا: نعم أنا مغفل! ثم ماذا تبا لكم.!

...أعاد ترتيب قميصه ثم اختفى كأنه لم يكن شيئا

ΔΔΔ

استقر بوليفيا في غرفته ينظر كل دقيقة إلى نفسه على المرآة يتأمل في هذا السواد الأملس الذي يسيطر عليه ويحاول في كل ثانية فهم تلك التشققات التي تتفتح أكثر بعد كل ساعة ،لم يجد أي حل سوى أنه يجلس من حين لآخر يلعن هذه المصيبة التي حلت به .

ليس هناك أي تفسير لما حدث له ، انه ليس مرض وليس هنالك دواء، ذهب يفكر في الأسباب فيعتقد تارة أن الأمر ربما يتعلق بذلك الحلم السيئ الذي شاهده في المرة الماضية وإما تلبسه جن أسود أو أن دماغه افرز موجات سوداء نتيجة لضغط على عقله المكدس

بالأفكار المظلمة عن السياسة والمجتمع ،

كل هذه الاحتمالات حاول الحائر المسكين

تفسيرها وهو متأكد أن الأمر لم يحدث معه

صدفة ولابد أن يكون هناك شيء ما غامض،

شيء غريب يجب معرفته

***

بعد ثلاثة أيام من العزلة

مضى على بوليفيا ثلاثة أيام على سكونه في الغرفة دون أن يخرج إلى الشارع خوفا من نظرة الناس إليه وتجنبا لأي كلام سيء يشاع عنه خاصة وأنه لم يفهم بعد ما الذي أصابه !

صباح يوم الثلاثاء استيقظ مهلوعا مرة أخرى مستغربا في نفسه ويتكرر في ذهنه كيف أصبح مظهره غريبا ومقززا بعض الشيء ، تصور نفسه شبيها لأحجار الفحم أو خلقة النملة ،

لاحظ أن التشققات يبست ولم تعد تؤلمه
كالساعات الفائتة، والمؤسف أن لاشيء
كشف عن حالته حتى الآن ،شعر بدوار خفيف
في رأسه، فذهب إلى المطبخ يحضر فنجان
قهوة ، لحسن حظه أن جدته ليست في البيت
هذا الأسبوع فقدى سمعها أمسية البارحة
تتحدث في الهاتف عن زيارتها لأختها بتونس

لقد سافرت جدته ولم يتحدث معها أو يقابلها
، لكونه وجد صعوبة في تفسير الأمر لها
،وبينما هو يبحث عن فنجانه إذا بالقط فجأة
يتحكك على رجليه ويموء تعبيرا عن شعوره
بالجوع أو ينادي ليأكل شيئا

...بحث بوليفيا في الثلاجة عن جبن أو لحم مقدد يعطيه للقط فلم يجد أي شيء ،هناك فقط حبة تفاح مائلة وحشيش..طماطم مصبرة ، زبدة ومربى ، وعلبة حليب كانت على الجانب لم تفتحها الجدة

حمل بوليفيا تلك العلبة وقبل أن يقدم للقط بعضا منها تذوق الحليب حتى تأكد من سلامته فلربما يكون حامضا ، تناول بوليفيا القليل منه ثم قال: مممم هو جيد!! تعال!، تعال لتشرب الحليب في إناءك أيها المغفل!

...بعدئذ أخذ بوليفيا فنجان قهوته وعاد
إلى الغرفة...وضع فنجانه على المكتب
كالعادة...إلا أنه تذكر فجأة أنه قد لاحظ شيئا
غريبا في المرآة وهو يمر برواق
المنزل...اللعنة!

عاد إلى الرواق سريعا، وقف أمام المرآة
بسرعة ثم قال: يا إلهي أنا بخير ، أنا بخير !

بدا وجهه صافيا ولون يديه طبيعي إلا أن
السواد على جسده ورجليه لم يختفي

تأمل في نفسه جيدا مرة أخرى ثم قال:
لا يهم، لا يهم!!

عاد بوليفيا إلى غرفته واستغرق يفكر في الشيء الذي أعاد لون بشرته لحالتها الطبيعية : لم أتناول شيئا حتى الآن! ، لم أتذوق القهوة بعد!

إلا أنه تأكد من شيء ما...اللعنة!! إنه الأبيض! ، نعم إنه الأبيض ، إنه الحليب!

تناول كل ما تبقى من الحليب في العلبة فتأكد من فعاليته تماما ، وحين لم يصدق هذه النتيجة قال مستغربا: يا للعجب ما هذا الهراء!، ما هذه الصدفة!

قضى بوليفيا ساعات صباحه سعيدا إلا أن هذه السعادة سرعان ما اختفت عندما تبين له أن السواد لم يختفي نهائيا وها هو يعود مرة أخرى إلى شكله الرطب الغير عادي أبدا

لم يبقى أمام بوليفيا سوى تناول المزيد من الحليب ولكن العلبة نفذت ولم يبقى فيها الشيء الكثير

ΔΔΔΔ

بعد الظهيرة صعد بوليفيا إلى الحافلة فجلس بجانب كهل يضع قبعة على رأسه بشكل مقلوب ، التفت الرجل إلى بوليفيا كأنه يريد أن يتكلم معه

فقال الرجل: كم الساعة؟

اخرج بوليفيا هاتفه ليطلع على الساعة فلم تشتغل الشاشة بسبب نفوذ البطارية

فقال لصاحب القبعة: أعتذر ليس لدي ساعة!

قال الكهل: لا يهم يا رجل، فنحن أصلا لا نحتاج للوقت في هذه البلاد ،حتى لو كان لدينا الوقت سيهرب الوقت منا

ضحك بوليفيا ولم يقل أي شيء لكونه اكتفى ينظر إلى الطريق مغلقة ، فبسبب الأمطار وكثرة السيارات اتضح أن الحافلة ستستغرق وقتا طويلا للتحرك

بعد مدة قليلة تنهدت فتاة كانت جالسة أمام بوليفيا فقالت لصاحبتها: سوف أصبح عجوزا في هذه الحافلة الثقيلة!

ثم مزق السائق السكون بصراخه يقول لسيارة بقربه: يا حمار! ، افتح المجال لتتسع الطريق !!

فرد عليه سائق السيارة: أنت البغل عد إلى الوراء قليلا!

فقال الكهل: تبا لهم جميعا! هؤلاء الزواحف لا يستحيون أبدا!

رد بوليفيا: للأسف!! ، فمجتمعنا من الطول إلى العرض مريض نفسيا، ربما حتى لو جئت له بخبراء وعلماء لإعادة ترتيب حياته سيبقى هناك اضطراب يتسرب في نفوس الجماهير أو ربما لن يتقبل الناس فكرة المجتمع المنظم ، نسبة كبيرة من السكان اعتادت على هذه الحياة المخدوعة، نحن ندفع الثمن لأننا نريد ذلك!

كأن لم يستحسن الكهل كلام بوليفيا فقال له: بل إن الحياة تعلمنا كيف نعيش أشداء على البؤس والتأقلم مع الأزمات

ضحك بوليفيا بسرعة ثم قال: أنا شخصيا كنت أظن أن الحياة علمتني ،لكنها في الحقيقة لم تعلمني أي شيء كما ينبغي ، لقد دفعتني في الحقيقة إلى مجتمع غريب الأطوار ، جعلتني أعيش تحت نظام حكم لا يريد أن يتغير ، وكل يوم اضطر لمصارعة الوحوش التي تفسد الوجود ، أنا لم أتعلم أي شيء سيدي ، إنني كل يوم ازداد جهلا داخل هذه القوقعة

المظلمة ، مللت البقاء في هذا العالم البارد ، بدأت أخشى الخروج إلى الشارع ، فالأحوال هنا قذرة وأنا جميل ، لقد اكتشفت في وقت متأخر أنني أتخبط في واقع لا يستحق أبدا أن أكون فيه!

تعجب الكهل من كلام هذا الشاب الغريب في أمره ، وفي تلك الأثناء لاحظ بوليفيا خروج شيء يشبه الدخان من كم معطفه، فاعتقد أن هناك سيجارة تحترق بداخله ،أخذ يقلب نفسه بهدوء تام حتى لا ينتبه له أحد ، والمدهش من ذلك أنه لم يكن دخانا وإنما هو بخار كثيف يتشكل بفعل تلك التشققات في جسده

...لم يجد بوليفيا كيف يتصرف في هذا الموقف الحرج ، ومعضلة الأمر أن الكهل لاحظ ذلك البخار يتصاعد في الهواء ، فقال: تبا ما هذا الدخان؟

رد بوليفيا: ربما أحدهم يدخن في الحافلة!

استغرب الرجل ، حيث لم يكن في الحافلة سوى ثلاث نساء يركبن بالأمام ،ومن خلفه لا يوجد أحد، رفع الرجل حاجبيه ولم يبالي كثيرا ، خبأ وجهه للأسفل ، حضر التبغ في ورقة رقيقة ثم وضعها تحت شاربه الأعلى ،وبعد ثواني قليلة عاد إلى هيئته وهو يبتسم

ولكي يخرج بوليفيا من هذا المأزق انتظر قليلا فبمجرد أن فتح السائق باب الحافلة نزل مسرعا إلى الطريق ، وهناك واصل مسيره على الأقدام يكاد يصاب بالجنون من هذه المحنة التي تمر به ولا يكاد يصدقها عقله

ΔΔΔΔΔ

بعدما قطع المتشقق مسافات طويلة في المشي تحت الأمطار اختفى البخار بسرعة ، عندئذ أخذ مكانا جانبيا بأحد الزقاق فأخرج من سترته مرآة صغيرة ليتابع بها التغيرات في وجهه

خاصة ،اطمأن عندما لم يجد أي سواد في هذه الآونة مركزا على أن كمية الحليب التي شربها مؤخرا تحفظ مظهره كما هو على الأقل قرابة ساعة كاملة ،خبأ المرآة ثم أخرج من جيبه محفظته وثائق وبدأ يبحث عن شيء ما ، بطاقة وطنية قلبها ثم قال: اللعنة! وطنية بدون حقوق هاهاها! ، عثر أيضا على صور شمسية فابتسم ثم قال: كم كنت جميلا فيما مضى! ، فتح ورقة قديمة خاصة بدعوة لحضور محاضرة في التنمية البشرية ، مزقها وتكلم بصوت متحسر: الحقوق المدنية هي التنمية تبا لهم جميعا!!

وأخيرا اخرج ورقة ألف دينار ممزقة ، ثم قال:
يجب أن لا أتأخر!

اتجه مسرعا نحو البنك المركزي ليقوم بتغييرها، ولسوء الحظ تعثر فجأة وشعر بأن هناك لعنة أخرى ستحطمه أكثر، فحذاءه المسكين قد تعب من الصبر وتمزق على مقدمته، تأمل فيه بوليفيا جيدا ، شدد على أسنانه ومسح بيده على وجهه ، ثم لم يبالي ، فواصل مسيره وقال في نفسه: لا يهم الآن! ، يجب أن أصبر حتى أصل إلى البنك ثم أتفاهم مع هذا الحذاء اللعين ، ليس مهما أبدا!!

وبالفعل وصل بوليفيا إلى البنك ولكن للأسف

مرة أخرى اصطدم بمشكلة مخيبة

عندما لمح من بعيد باب المصرف

مغلقا

، وقف أمام الباب يشعر بالأشواك توخز حلقه

إلى أن ترقبه الحارس من نافذة المراقبة

فخرج إليه قائلا:

- **نعم سيدي ماذا تريد؟**
- **بوليفيا: اه...أريد استبدال ورقة ممزقة!**
- **الحارس: يمكنك ان تعود غدا ، ليس**

هناك موظفون هذا المساء!!

– بوليفيا: هل ترى أنه من المنطقي ومن العادي أن أعود غدا؟

– الحارس: نعم! غدا سيكون البنك مفتوحا

– بوليفيا: هل تعرف شيئا؟ أرى أنك رجل طيب يمكنك أنت شخصيا أن تستبدلها لي

ضحك الحارس قائلا: أنا لا يمكنني أن افعل شيئا، كل الشبابيك مغلقة

اخرج بوليفيا ورقته ثم قال مضطربا: أنظر! ، هي ليست ممزقة كثيرا سأستبدلها معك وأنت تكفل بالأمر بعد ذلك!

الحارس يضحك مرة أخرى ثم قال: هل أنت مختل؟؟!!

ـ بوليفيا: لو كنت مكانك لفعلت ذلك ولقمت بمساعدتك! ، إنه ليس بالأمر العسير عليك أبدا

فكر الحارس قليلا ،نظر إلى بوليفيا جيدا ولاحظ أن حذاءه ممزق كأنه تمساح يفتح فاه، شعر بالحرج فقال: حسنا! ، هات الورقة !

تخلص بوليفيا من ورقته الممزقة وحضي بواحدة جيدة من الحارس فشكره وأخذ يقبل

ورقة الألف دينار ، انصرف بوليفيا سعيدا ثم قال للحارس: اللهم ارزقه زوجة صالحة! هاهاها

فهز الأخير رأسه ودخل إلى غرفة الحراسة ضاحكا ، فما بقي على بوليفيا إلا أن يقتني الحليب فورا

ΔΔΔ

بعد أن اطلع بوليفيا على أنواع الحليب وأفضلها للجسم اختار اقتناء حليب خاص بالأطفال لأنه أقوى من المنتوجات الأخرى

فتح باب الصيدلية فاصطدم برجل يصرخ أمام المدخل

قال الرجل: تبا لكم! صيدلية بدون دواء؟؟

لماذا نحن موجودون إذن؟

وضع الرجل الوصفة تحت عيون بوليفيا وقال:

انظر يا صديقي!! هذا دواء لداء القلب

ولا يمكنني العثور عليه ،اللعنة! سنموت جميعا

وفي قادم الأيام لن يجد هؤلاء الطغاة مستقبلا

سوى الحشرات والبراغيث، نحن لم نعد بشرا!

، اللعنة!!

لم يحتمل الرجل وجوده في الصيدلية ، وضع

يده على رأسه فاقدا للأمل ثم انصرف

تقدم بوليفيا إلى البائعة فقدم لها الألف دينار وطلب علبتين حليب أطفال

فقالت له البائعة: ألف دينار لا تكفي علبتين ...فرد عليها دون أن يفكر كثيرا: حسنا ، حسنا أعطني علبة واحدة!!

اخذ بوليفيا علبة الحليب وانصرف ، وقبل خروجه قال متمتما: سحقا! هل ستكفي هذه ليوم واحد؟

رفعت الفتاة حواجبها ثم قالت: يا إلهي ما هذا الشعب!!!

وبينما يركز بوليفيا على العودة بسرعة
إلى البيت ليجرب فعالية هذا الحليب
،وإذا بكرة قدم قوية تتجه نحوه كادت أن تأخذ
بوجهه للأبد فحملها واقترب بها إلى الأطفال
لكي يردها إليهم ، ولكن كانت المفاجأة أن
هربوا منه وهم يقولون: إنه الغول الأسود!!
إنه الغول الأسود! ثم دخلوا فارين إلى إحدى
العمارات المطلة على الشارع الطويل ،واصل
طريقه كأن لاشيء حدث وهو يقول في قلبه:
تبا لهؤلاء الأطفال المغفلين !

رمى الأسود الكرة جانبا وانتبه إلى أن السواد قد عاد مرة أخرى، شعر بالغيظ وأخذ يوبخ نفسه لأنه لم يرتدي نظاراته ،لحسن حظه كانت الثلوج تتساقط فلم يكن هناك كثير من الناس في الشارع فأكمل طريقه بهدوء حتى وصل إلى غرفته ، تناول الحليب وانتظر دقائق فلم يحدث أي تغير هذه المرة

هدأ ثانية ثم قال: اللعنة لماذا لم أتغير؟؟ ، أنا متأكد أن الحليب هو الحل!

غضب بوليفيا فكسر تلفازه وبعثر كل كتبه ، حتى المرآة التي يحتاج رؤية نفسه عليها جعلها حطاما

جلس على أريكته فجاء القط إليه كأنه يواسيه في محنته، تأثر بوليفيا وراح يمسح على رأس القط وإذا به يلاحظ تحول يده إلى لونها العادي فقال: إنه يعمل! ، إنه يعمل! نجحنا صديقي نجحنا!!

كاد القط أن يختنق لشدة ما عانقه بوليفيا سعيدا بعودته إلى طبيعته الأولى، فأعطى للقط بعض اللحم المقدد وإناء ممتلئ بالحليب

يوم الأربعاء

إنه يوم الأربعاء ، بوليفيا في حالة
لا يرثى لها كأنه تخمر بفعل الملل والروتين
اليومي أو بسبب حالته النفسية الحزينة ،
الوقت يمر عليه دون أن يعمل شيئا مهما ،
ينظر إلى سواده فقط ولا يدري كيف سيخرج
إلى الشارع ليجد عملا، وليس هناك حتى
حليب كافي لبقية الأيام

استفتح صفحة الأخبار المحلية بخبر خاص
بعمال النظافة ، إنهم يطالبون بتدخل العدالة

بعد أن تم تهميشهم ولم يحصلوا على الراتب منذ شهرين ،ثم قرأ مستغربا في ثاني خبر...وكالة الفضاء الدولية تكتشف حجرا أسودا بكوكب زمردة ويحمل بداخله قوة غامضة؟

اعتقد بوليفيا أن الخبر كذبة يروج لها احدهم لإضحاك وجلب المتابعين فقط ، وإذا به يجد نفس الخبر منتشرا عند بقية الأصدقاء في الصفحة

انتقل مباشرة إلى القناة الإخبارية الخارجية فتأكد جيدا أن المعلومة صحيحة وليست إشاعة ، ما هذا الهراء ؟؟

في الوقت نفسه قابل المرآة ينظر إلى سواده ويفكر في الخبر الجديد كأن له علاقة مرتبطة بهذا السواد الغريب الذي يعيشه ،حرك رأسه مضطربا وعاد يقلب صفحات الأخبار في هاتفه فقرأ بأنه قد سبق تجريب قوة الحجرة على أحد المتطوعين في مخبر التجارب الأمريكية ، ولكن حدث أن مات ذلك المتطوع بعد ساعتين من ربط جسمه بتلك الطاقة ، والعجيب أن هناك حجرة أخرى من نفس النوع سقطت بالجزائر ولكن لم يحدد مكانها بعد

رفع بوليفيا حاجبيه كأنه لا يصدق هذا الشيء،

وبينما هو يتعمق في موضوع الخبر عاد بنفسه إلى الذكريات السابقة (حانوت وشجار ، باجيو ، حاج عيسى ، خنجر ، حجرة سوداء)

ليتذكر شيئا فقال: اللعنة! إنها هي! ، لقد لمستها تبا!!

شرب بوليفيا ما تبقى من حليب في العلبة ، حمل قفة ونزل مباشرة إلى مدخل الشارع يقلب عن تلك الحجرة السوداء ، وزع عينيه في كل مكان بتلك الجوانب إلى أن شعر بها موجودة من حوله ،غير انه عجز عن العثور عليها لكونها متخفية بشكل ما

..لاحظ بعض الجيران أن هذا البوليفيا يبحث عن شيء ما فراحوا يسألونه عن الذي ضاع منه فيجيبهم بأنه يبحث عن ورقة خمسمائة دينار ضاعت منه قريبا من هنا...فأخذوا يبحثون معه وعندما لم يجدوا شيئا شعروا بالملل فانصرفوا، إلا هو استقر واقفا يشد نظره إلى حجرة معينة هناك ،حجرة سوداء على ظهرها كرتون وجريدة ، كأن احدهم كان جالسا عليها قبل قليل وهو يطالع تلك الجريدة ،حمل بوليفيا الصحيفة وعلى عنوانها حجرة سوداء مفقودة، التفت يمينا وشمالا ، استدار إلى الوراء ، ثم قال بصوت خافت: المكان آمن!

تأمل في الحجرة، حملها في القفة وانصرف كأنه جن في سرعته ، وضعها على مكتبه وأخذ يقلبها من كل الجوانب قائلا: إنها هي ، أنا متأكد من ذلك ، إنها رطبة الملمس وعلى سطحها قطعة حديدية غير واضحة ، أذكر جيدا أني تلمستها في تلك الليلة ، فما قصة هذه الحجرة يا ترى؟ إنها ليست سحرية أو مختلفة كثيرا عن بقية الأحجار المبعثرة في الشارع ، خبأها تحت السرير ثم وقف يفكر في طبيعة الحجر ، يتساءل: "ما هي القوة الغامضة التي يتحدثون عنها؟ ، إنها لم تجلب

إلي سوى الهم والغم ،منظري مظلم ولا يمكن أن أواجه الناس بهذا المظهر أبدا

...ثم إنني كل يوم يجب أن أشرب كأسين حليب صباحا ومساءا، وحتى هذا الحليب لا يسيل من الحنفية ،سأحتاج لكمية كبيرة كي أخفي عن الناس هذا السواد! فأين هي هذه القوة تبا لهم!!؟

شغل موسيقى حزينة تعبر عن حاله الأسود ثم وجه أنظاره إلى النافذة نحو السماء وقال: أين الحل يا ترى؟ هل أواجه الناس بحقيقتي أم من الأفضل التخفي حتى لا أتعرض للمتابعة والتحقيق؟

بعد تفكير طويل ألقى بوليفيا نظرة على رزنامة الأيام ثم قال: جيد! جيد! ، إنه يوم الأربعاء ومن المفروض أن تصلني في الحساب منحة الدراسة الأخيرة ، ستمكنني هذه المنحة من شراء علب حليب كافية للأيام القادمة

ΔΔΔΔ

توجه بوليفيا مسرعا إلى مركز البريد فلاحظ أن ليس هناك طوابير كالعادة ، اقترب من كشك الاستلام البريدي فلم يجد أي موظف في الخدمة ، توتر فقال: اللعنة! أين هي الموظفة؟؟ ، بدأ بوليفيا يبحث يمينا وشمالا عن الموظفة ويسأل عنها لكن لا أحد يجيبه

انتظر قليل ثم قال: تبا! لا يوجد سوى الجن والعفاريت هنا!

في تلك اللحظة جاء رجل عجوز واستغرب أيضا في غياب الموظفة، فقال: "هؤلاء السفلة اتعبوا قلوبنا ، الأمم في الغرب تصعد إلى الفضاء ونحن هنا مازلنا نبحث عن موظفة! "

- بوليفيا: لقد مللنا من هذه الحياة حقا كأن لم يعد هناك أي أمل في تغيير هذا الواقع المر

ضحك العجوز وقال: عن أي تغيير تتحدث يا ولدي؟؟ ،ليس هناك حل أبدا لهذا المجتمع ، هل تعتقد أننا سنتغير؟ ، تأمل في البشر جيدا! ستكتشف أنهم يعقدون كل شيء ويستمتعون بالألم ، يعقدون العلم بالدروس المكثفة حتى يبقى الجهل سيدا ويعقدون السياسة بالتخويف والإرهاب من أجل أن يستمر الفساد طولا ، يعقدون الحب بأفكار

وهمية تجلب الكراهية ،يربطون العمل بشروط فوق القدرة لتعجز ، ...اللعنة!! لقد رضي الناس بهذا الهراء عن قناعة لأنهم يعتقدون أن هذا القدر حالة محتمة لا تتغير أبدا...

صمت ثانية ثم أضاف: أظن أن الحل الوحيد هو أن نمتهن الفساد جميعا وهكذا ستسير أمورنا جيدا

– بوليفيا: نعم هذه هي الحقيقة المرة التي نهرب منها ، فحتى الحكومة الحالية مغيبة وتترك الأمور تسير وفق قانون الغابة 'كل إنسان ذئب لأخيه الإنسان '

–العجوز: هذا واضح! ، يمكن لأي حكومة في العالم أن توجه المجتمع نحو التقدم والازدهار...لكنها للأسف لا تفعل ذلك ، لأنها في الحقيقة هي موجودة كي تسيطر ، تحكم لتنهب الثروات ولا يخدمها أبدا بناء فرد مثقف وفاهم ، كلما كان الناس أغبياء كانت هي أقوى في التسلط على الأفراد

– بوليفيا: عندما يكثر الغباء والجهل نعيش في فوضى وهذا ما يحدث معنا

– العجوز: الجهل الذي يستقر في العقل الباطني من الصعب القضاء عليه لأنه عاش في صاحبه سنين طويلة...كم هو سيء أن يعيش

المرء جاهلا في عقله وأسلوب حياته وهو لا يدرك ذلك !

– بوليفيا: خاصة! ونحن الآن متفرقون..أغلبية الناس لا يهمهم التغيير الجذري للمجتمع...وكذلك فإن البعض يشعرون بالضعف أمام السلطة...إنهم لا يريدون الوقوع في صدام عنيف مع الحكومة

قاطع العجوز بوليفيا قائلا: نعم!، وحتى لا تتكرر تلك الأحداث المؤلمة يختار الناس دوما حياة آمنة ومستقرة ، حتى لو أصابهم البؤس سيصبرون لأنهم ضعفاء! ،

ضعفاء يتحملون فوق طاقتهم فقط كي يبقوا
على قيد الحياة...كي لا يتألموا...كي
لا تشتعل الحروب...كي لا يغضب
النظام...كي لا ندخل في صدمات جديدة،
نتحمل كل شيء من أجل أن نعيش في بؤس
وسلام

بعد أن تأكد للعجوز أن الموظفة لن تحضر
اليوم اقبل على الانصراف ثم قال: يا ولدي
لاشيء يستحق! إذا ما استطعت السفر أهرب
بنفسك من هنا! ،كأن لم يعد هنالك حياة مع
هؤلاء الوحوش!!

وقف بوليفيا حائرا في ما آل إليه حال المجتمع ،ليخرج بعدئذ إلى حديقة الأطفال فجلس هناك ليرتاح قليلا ، ثم رفع رأسه للسماء وقال: يا الله كيف السبيل؟

بعد دقائق فقط ، جاءت عجوز مسنة مع حفيدتها ، جلست قرب بوليفيا بينما الطفلة راحت تعلب على الأرجوحة فقالت العجوز : أنا مريضة وأوصاني الطبيب بالمشي قليلا وها قد أحضرت الطفلة إلى هنا كي أغير الأجواء

– بوليفيا: جميل!، جميل! فالأطفال يحبون اللعب وتجديد المكان ،إنهم يمثلون رمزا للرحمة والحياة

– العجوز: نعم يا ولدي بمجرد أن هكذا يلعبون أمامك ينشرح صدرك بالرحمة، وعليه ينبغي للبشر جميعا أن يكونوا رحماء حتى يعود الخير والصلاح للحياة ، ربما أنت ترى للأسف كيف تفرقت روابطنا وعاد الناس اليوم لا يشمون بعضهم، حتى أنهم لم يعودوا يؤمنوا بأن العمل الصالح ودعوات الخير أمور ا مقدسة في العلاقات الإنسانية وتلعب دورا مهما في حياتنا.

– بوليفيا: نعم! ، نعم هذا صحيح!، فكرة الخير لا تحتاج لمعجزة ، إنها فقط تحتاج

لبشر يؤمنون بالخير كما يؤمن أهل الشر بالشر ، وهذه هي المفارقة العميقة التي لا نركز عليها في أدائنا اليومي ، للأسف!

سكتت العجوز هنيهة ثم قالت: وأنت أليس لديك أطفال؟؟

ضحك بوليفيا ثم قال: لم أفكر بعد بالزواج في هذه البقعة

ردت العجوز: أفهمك جيدا يا ولدي! ، الظروف أصبحت صعبة ولم يعد الزواج سهلا للشباب مثلك ، خاصة وأن الوقت الحالي يتطلب الكثير من التكاليف و ليس من السهل

على كل رجل توفيرها ،حتى المرأة لم تعد تغامر بالزواج مع رجل فقير

رد بوليفيا ساخرا من الوضع: نعم! ، نعم! هذه هي المشكلة ، بعد عشر سنوات من الممكن جدا أن لا يكون هناك زواج ، سنعيش جميعا عزبا حتى نموت هاهاها ، هاها!

ضحكت العجوز ثم طلبت من حفيدتها أن لا تبتعد كثيرا عن الأرجوحة ، في حين أن بوليفيا تلاحظ عودة السواد إلى يديه ، وحتى لا يتسبب في إحراجه للعجوز، قبل رأسها كتعبيره عن الاحترام ثم انصرف

ΔΔΔΔ

حمل الشقي نفسه بعيدا حتى لا يحرج العجوز ، فذهب مسرعا كي لا تخاف منه أو تشكك في أنه لص أو شيء من القبيل

...ذهب يمشي على أوراق الشجر المتساقطة ويستمتع بأصواتها تحت رجليه ، وتزامنا مع غروب الشمس ذهب في كل خطوة يحاول الهروب من ألمه ، في كل مسافة كانت هناك حكايات ضخمة يتركها تسقط من وراءه، فالمسكين لقد أصبح كائنا غريبا وليس هناك أحد يفهمه ليقف بجانبه، إنه لم يعد يشبه الآخرين أبدا ، حياته سوداء مثل بؤبؤ عينيه

ولون بشرته الملساء ،كأن اللعنة اختارته ليكون ضحيتها الكبرى

...صرخ بوليفيا في كتمان يعبر عن الغضب في داخله: سحقا! ، لماذا أنا بالضبط؟ ، لماذا؟ هل لأنني الوحيد الذي يدرك في نفسه أننا نعيش حياة سوداء من كل الجوانب؟ هل هو الألم الذي يعتصر بداخلي؟ أم هي الأفكار الظلامية التي أرى بها العالم؟ ، أنا لست أبدا مخطئا في تحليل هذا الواقع الأسود ، إنها الحقيقة! ، الأحوال هنا سوداء ومهما قلنا غير ذلك، فأنا شخصيا أينما وليت وجهي أرى كل شيء مظلم...لاشيء يعجبني في هذهالأرض

..مشاكل متكاثرة وأزمات منتفخة...ظلم في كل مكان وحقوقنا مهضومة ، أشعر أن الحياة التي نعيشها ليس فيها حياة...أنا متأكد!... لا تدور الأشياء من حولنا كما ينبغي...منذ أن أصبحت شابا عدت استيقظ مخنوقا لا أفهم كيف سأعيش سعيدا في وسط الهموم التي تدور بنا أمام كل اتجاه...عندما أتفكر في الأحداث التي مرت علي هذه السنوات الأخيرة يتصور لي كأنني زامبي ضائع في غابات زامبيا...أما الذين حولي لا يختلفون عني أبدا...هم كذلك زامبيون غارقون في المدينة ولكن أغلبهم لا يشعرون .

وقف بوليفيا أمام الطريق ليمر إلى شارع آخر

فإذا بسيارتين تصطدمان أمامه بعنف شديد ،

ظهرت على اليمين سيارة أجرة حمراء اللون

طويلة بأربعة أبواب ، أما على اليسار سيارة

رباعية الدفع سوداء مثل صاحبها الأسود أصلع

الرأس وخشين الجسد

وقف بوليفيا مندهشا يسأل في نفسه كيف

حدث ذلك أمامه بتلك السرعة كأن لم يكن

شيئا وظهروا فجأة...في تلك اللقطة الساخنة

خرج السائقين من مركبتهما يتأملان في

الحدث المريب ، تقابضا مع بعضهما ثم خنق

احدهما الآخر وذهبا يشتمان بعضهما فيوجهان اللكمات كأنهما في حلبة البوكس..

لم يكن وسط الحادثة سوى بوليفيا ونساء في السيارة الحمراء يصرخان، تدخل الأسود في وسط الشجار وبدأ يدفع هذا وذاك ، لكن دون جدوى..فكلا الشخصين يتمتعان بأجساد البغال ، أما بوليفيا كان يشعر بالضعف لكونه لم يأكل شيئا منذ الصباح فتردد في فك الشجار بينهما ، ابتعد هنيهة حتى استجمع قواه ثم عاد ودفع أحدهما إلى الخلف ،

توقفوا واستغربوا فيه لدرجة أنه بقي مستجمعا لقوته يمنع الثاني من التقدم إلى أن جاء الناس وفرقوا بينهم

لم يفكر بوليفيا بعد ذلك أن يطمئن على الحادث...أكمل طريقه وقال: تبا لهم جميعا!

ΔΔΔΔ

لم يمشي المنهك سوى ثمانية أمتار حتى شعر بالإرهاق يشق جسمه المتشقق ، لقد ضعفت معنوياته وخارت قواه بعد أن فشل في الحصول على فرنك واحد من اجل شراء الحليب بتلك الكمية، لحسن حظه أن حليب الأطفال كانت

نتيجته مبهرة تساعد بوليفيا على الاستقرار في حالته العادية لمدة تتجاوز أربع ساعات ، ولكن لم يبقى أكثر من ساعة وسيتحول أسودا في كامل وجهه وأطرافه ، وحين لم يجد أين يستريح اضطر للاتكاء على شباك البلدية ليجد نفسه أمام باب الملعب مفتوحا فدخل إلى المدرجات وأخذ مكانا في زاوية معزولة عن بقية الجماهير ،حاول أن يشغل نفسه عن المصيبة السوداء بالتأمل في الكرة تذهب يمينا وشمالا بين اللاعبين ، ظل يترقب حارس المرمى كيف يقفز لقبض الكرة وفي الوقت نفسه يتخيل أنه لاعب مع الشباب ،استمتع

أيضا بالنظر إلى حكم المباراة كيف يخرج البطاقة الحمراء من جيبه ويسحق بها اللاعب الذي يتصرف كأنه دبابة على الأرضية...

انتهى الشوط الأول بدون أهداف فذهب بوليفيا يشاهد هناك أب يصرخ على أولاده عند الجانب أين الأولاد يتخاصمون كلما حدث سوء فهم بينهم ، ولكي يفك الأب ذلك الخصام بين أبناءه يصفق على ابنه الأكبر ثم يقول له: ليس هكذا تعامل أخاك الصغير يا ولدي!

...عاد اللاعبون إلى أرضية الميدان ولم يكن هنالك أي لقطات تجلب الانتباه ، وفي كرة ثابتة خطيرة استقر بوليفيا ينتظر دخول الكرة في الشباك حتى قاطعه أحدهم: أخي!

بوليفيا: نعم صديقي ؟؟

– هل يقلقك أنني سأجلس هنا بقربك لتعاطي المخدرات؟

بوليفيا يستغرب: نعم، نعم لا مانع لذلك!

– الشاب : نعم! ، أعرف إني أحرجتك ،كان يمكنني أن أدخن سجائري دون أن أبالي بك ولكنني أحب احترام الآخرين ، قلت ربما

تزعجك الرائحة أو قد تكون أنت واحدا من أفراد الشرطة المدنية ، لذلك من واجبي اخذ حذري فلا تتعجب!

– بوليفيا: جميل ، جميل! ، إذن أنت معتاد على القدوم إلى هنا؟؟

– الشاب: نعم! ، أنا كريم"مافيا" ، الجميع يعرفني ، اسكن فقط بالقرب من السكنات المقابلة ، لقد كنت أقوى رجل في الحي ، ارتبكت العديد من الجرائم سابقا ، ولكنني الآن قد وضعت أرجلي في ماء بارد وتوقفت عن كل ذلك الهراء الذي كنت افعله ، كنت شبيها

بالكانيبال المتوحشة في الغابات المهجورة، لم أدرك ذلك إلا في وقت متأخر ، وأنا اليوم نادم جدا ، انظر إلي! أنا فقط أدخن سجائر بالحشيشة هذا كل شيء !!

– بوليفيا: جميل جدا! أنا أقدر كثيرا أنك اجتهدت في الخروج من ذلك المستنقع ، اعرف! لقد كان ذلك صعبا عليك

– الشاب: نعم! ، نعم صعب كثيرا! ،ليس هناك ما نفعله في أوقات فراغنا ، للأسف! فأنا لم أكمل دراستي وذهبت مع الرياح دون أن أنتبه إلى أين تقودني أفكاري ، دخلت

في الظلمات دون أن أدرك ذلك وأعجبتني الحياة مع الخمر والسهرات، كنت أقبض مالا كبيرا مقابل بعض الجرائم ، ثم لما دخلت السجن استحييت من رؤية وجه أمي في الزيارة ، لقد عاهدتها أن لا أتورط في أي جريمة بعد نهاية مدتي وراء القضبان ، سأحاول مع مرور الوقت التخلص من المخدرات، فأنا لا أريد أية مشاكل مع الدولة

– بوليفيا: جميل ، ذلك رائع!

في الوقت نفسه حضر إلى الملعب شبان آخرون جلسوا بقرب صاحبهم وبعد

أن تحسسوا المكان جيدا أخرجوا سجائرهم ثم تقاسموا الحشيشة

...كان الشاب الأول اسمرا ونحيفا يلبس بزة سوداء يظهر عليه أنه يدخن كثيرا ويعاني من هموم ثقيلة، أما الثاني قوي البنية أشقرا ، بعض الندبات خطها على حاجبيه، كأنه من عائلة ثرية ويريد أن يعيش تجربة المخدرات لأول مرة أو أنه ليس راضيا على مظهره الذي عادة ما يلقى سخرية من الرجال ، بينما المسمى كريم كان أيضا قوي البنية أحول العينين بشعره الأسود المرطب بالمرهم جيدا ، رياضي في ملبسه ورجل عصابة في حديثه

عمت رائحة المخدرات في ذلك المكان فلم تمضي دقيقة حتى قال احدهم: اللعنة! أنا أتألم في معدتي من حين لآخر

فرد عليه صاحبه النحيف: ربما أنت تشرب غازات كثيرة أو أن أمعائك ملتوية بالعجين؟

قال له كريم: لا تقلق! ربما هي أوجاع موسمية فقط

فقال الأشقر: لا ادري! ممكن أن يكون القولون العصبي

– النحيف: نعم! ،ربما أنت تتوتر كثيرا ويعود ذلك بالسلب على أمعاءك

– الأشقر: لست أتوتر كثيرا هذه الأيام...

لا ادري! ،عندما ازور الطبيب سيخبرني بما يحدث

– كريم: لماذا سترزور الطبيب؟ ، قل لأمك أن تحضر لك "تيزانة" جيدة في الليل وستتحسن (يقصد بالتيزانة واحدة من الأعشاب العربية التي كان يستعملها الناس منذ القدم)

– الأشقر: ما دخل التيزانة في المعدة؟

– النحيف: ما بك أنت؟ ألا تعرف أن التيزانة مفيدة للصحة ؟

– الأشقر: أنت بدأت تخلط علينا!

– النحيف: دعني أعطيك نصيحة! ،لا تشرب الغازات وتوقف عن أكل السلاطة والطمامم والجزر لأنها تحتوي على غازات تتهجم على المعدة

– الأشقر: ولكن كيف تعرف أنت بأن هذه الخضر تحتوي على غازات؟

– النحيف: مخلوقات العالم كله فيها غازات

– كريم: تبا لكم!أصبحتم جميعا أطباء هذا المساء ، اسكتوا علينا! لقد صدعتم رأس الشاب قربنا (بوليفيا)

ضحك بوليفيا وقال: لا يهم على الأقل أنتم تنصحون بعضكم البعض ، هذا شيء جميل في زمن لم يعد يهتم الناس لبعضهم البعض ، ضحكاتكم تغير الأجواء السوداوية قليلا

– الأشقر: وراء ضحكاتنا الجميلة دماغ تضرب فيه زلازل وأمواج ، وقلب ينتفخ إلى حد انه قد ينفجر في أي وقت، ضحكاتنا ليست سعادة كما يبدو...إنها حالة هيستيرية للتخفيف عن النفس والجسد ولكن قليل من الناس من يفهمنا !

– النحيف: نعم! ، نحن نأتي إلى هنا يوميا لتبادل همومنا ليس هناك ما يلفت انتباهنا في الشارع...كل شيء ممل! ،نحن ندفع أيامنا ونأكل الوقت حتى لا تأكلنا الأيام بأزماتها المندفعة علينا كالسيل ، لم يعد هناك أمل في هذه البلاد!

– بوليفيا: صدقت يا رجل! ، عادة عندما أتأمل في هذا الوضع السافل الذي يدور من حولنا ، أعتقد أحيانا أن العقلاء في هذا الكون لا وجود لهم أبدا ، حتى أنا أعتبر نفسي مجرد كتلة غبية تحاول التكيف مع هذه الزبالة المعيشية البشعة

،أصبحنا نعيش وفقط ، نتألم ، نصبر ونبتسم قليلا ليستمر وجودنا بينما الكلب مازال في عادته القديمة ويفعل ما يشاء في حديقتنا الجميلة

– الأشقر: نعيش في الحياة لمطاردة أشياء وهمية تستغرق منا سنوات من أعمارنا ولا ننتبه إلا بعد فوات الأوان

– كريم: تولد حياتنا مربوطة بأمهاتنا ، ثم تربط مباشرة مع سياسة النظام الاستغلالي

– الأشقر: ندّعي جميعا أننا نحب الصلاح لكن أغلبنا يُمارس الغش في أول فرصة متاحة

– النحيف: لم نعد ندري حتى كيف نتصرف في حياتنا وأحوالنا؟ ، إنها الفوضى التي أصبحت ترهق كاحلنا ،حتى المثقفون لم يعد لهم صوت في المجتمع

– الأشقر: تبا للمثقفين! ، هم أيضا يحتاجون ثقافة جديدة ، لقد صدعوا رؤوسنا بالنصائح والإرشادات الاجتماعية ثم يختفون فجأة ولا يتحدثون أبدا عن الحقوق التي تنهب والفساد الحاصل في السياسة

– بوليفيا: نعم! ، جميع الناس يقدم تحليلات طويلة...لكن قليلهم من يفهم الشيء الذي نحن بحاجة إليه بالضبط

– الأشقر: وهؤلاء السوسيولوجيون المزيفون لا يعجبهم الحال عندما نتحدث بكل صراحة عن الخراب الذي يدور في المجتمع ، بل يريدون منا ن نكتم أفكارنا ونستمر في الارتباك من الداخل ونصمت حتى يعتقد الناس أننا بخير وأقوياء ، ومن يتكلم يعايرونه بالمجنون وغريب الأطوار ،اللعنة! على هذا الهراء إلى يوم دين!

– بوليفيا: لا أدري لماذا اعتقد أننا جميعا غائبون عن الوعي؟ لا أحد فينا يدرك ما الذي يحدث؟ سوى أننا نواصل العيش بسخرية ،

ونتهكم من بعضنا بأفكار متضاربة فقط لنظهر علماء فيما بيننا لا أكثر!! ، ترانا ندخل في مواضيع جدالية عميقة لنتهرب من الحقيقة ، أوقعنا أنفسنا في خندق التعقيد والقيل والقال، ونحن ببساطة لسنا بحاجة إلى كثير من التفلسف بقدر حاجتنا إلى ضمير حي ، هذا كل شيء! ، ولكن! ...حتى الضمير مات!

– النحيف: الحياة هنا تمشي عكس ما نحلم به ونتمناه ، كل يوم يتكاثر علينا الأغبياء الذين يصفقون في الأحزاب والمهرجانات ، لا ادري متى ينتهون؟ ،لو كنا صادقين في مبادئنا كان

يمكن أن نعيش بخير مثل بقية الأجناس في العالم

– كريم: الأنذال يصفقون لاستمرار الفساد ونحن ندفع الثمن..

– بوليفيا: من سيصدقنا إذا قلت للعالم أننا جميعا نعيش بطريقة خاطئة؟

قال كريم: نحن نصدقك ، إنه الهراء!

و فجأة لاحظ النحيف تغير لون بوليفيا فقال مستغربا: هاي أنت! مابك؟؟ أنظر إلى يديك! ، أصبحت أسودا!

– بوليفيا: لا تقلقوا... لا تقلقوا! أنا مريض ،أنا مريض! ، سأترككم الآن!

– الأشقر: عافاك الله تبدو مريعا!

–بوليفيا: لا يهم! ، لا يهم! اعتنوا بأنفسكم سلام! ، إلى اللقاء!!

–كريم: لا تنسى زيارتنا مرة أخرى!

– بوليفيا: نعم صديقي ، شكرا لكم!!

خرج بوليفيا مسرعا من الملعب ولما وصل إلى المخرج وجد شيئا للأطفال على الأرض ، لقد كانا قناعين مربوطين مع بعضهما ،أحدهما

لباتمان والآخر للجوكر ، يبدو أنها للأولاد الذين كانا في الملعب قبل مدة ،حاول بوليفيا التفتيش عنهم ولكن لم يجد احد ،فقد اشرف الظلام ويبدو أن الجميع قد رحل ، حمل الأقنعة في يديه وأخذ ينظر إليها ثم ذهب يتذكر حلقات باتمان والجوكر كيف كانت مثيرة

***

ليلة مثيرة

مشى بوليفيا خطوات ضائعة إلى حيث لا يدري، مضى يفكر في العودة إلى المنزل حتى اتجه سمعه إلى صوت ضحكات وموسيقى من بعيد ، فما إن التفت رأسه إلى الصوت علقت عيناه على لوحة معلقة بمنارة كهربائية ، تشهد هذه الليلة مهرجان كبير بقاعة الحفلات مقابل الملعب ،أما الإعلان الثاني يحب بجميع الموهوبين للمشاركة في السهرة للعلم أن العرض الأفضل سيحصل على جائزة خمس ملايين دينار

تفتحت أعين بوليفيا قائلا: ماذا! خمسة ملايين؟؟

عاد بوليفيا مباشرة يتأمل في قناع الجوكر بيده ثم قال في نفسه: ربما هذه فرصتي التي ليست فرصتي ولكنني مضطر لان افعل ذلك ، تبا لها! ليحدث ما ينبغي له أن يحدث!

وقف أمام مدخل القاعة، تنهد بعمق وارتدى القناع حتى لا يكتشف احد السواد المتشقق على وجهه ثم دخل البوليفيا قاعة الاستقبال وهو عازم على إحداث المفاجأة

ΔΔΔΔΔ

تقدم الأسود إلى غرفة الاستقبال الملونة بالأصفر والأحمر فشعر فجأة بالحنين إلى أيام طفولته لما كان يذهب إلى المسرح لمشاهده المهرجين والألعاب السحرية، لم يلبث دقيقة حتى ناوله أحد الأعوان بطاقة دخول ،ولأنه متأخر حصل على الرقم 17

...تقدم قليلا ثم وقف يسمع فتاة تغني بصوت رديء فتخيل نفسه شبيها لها على المنصة، فجعله ذلك يشعر بالقلق نوعا ما

اضطرب قليلا في وقفته ثم وجه نظره إلى الموظفة مترددا في إخبارها بدوره على المنصة

، لكنها بمجرد أن رأت قناعه قالت: رقم 17 ستؤدي دور المهرج أليس كذلك ؟ ، لقد سجلتك! ، لحسن حظك لم أن عروض عروض المسرح لم تنتهي بعد

رد بوليفيا: نعم ، نعم سيدتي، مهرج!، هاهاها..هاها! ، كما تريدين!

ضحكت الموظفة ثم قالت بصوت خافت: تبا له! ،هذا الجوكر يبدو مريعا!

جلس في الغرفة وحيدا ينتظر، لا يحمل معه أي تحضير للعرض سوى أنه كان يفكر في تناول الحليب بأية طريقة ، فنهض بقرب من

المدرجات يبحث عن أي طفل يحمل بيده حليب ،ولحسن حظه لفتت انتباهه رضيعة بقرب والدها متدلية للأسفل ولتمح في الهتافات إلى الخلف فجلس الجوكر الأسود وراءها ، اخذ الحليب واختفى ، ولما حاول الأب ترتيب رضيعته على ذراعه لم يجد قارورة الحليب لابنته ولما بحث عنها أسفل المدرج لكن لم يجد شيئا... لقد وجد بيدها قناع باتمان بدلا من رضاعتها!

عاد بوليفيا إلى مكانه، حاول فتح القارورة لكنها استعصت على الانفتاح ولأن الوقت

لا يكفيه اضطر لشرب الحليب من مصاصة

القارورة كالأطفال وفجأة سمع صوت مرتفع:

رقم 17 يتفضل معنا! ، رقم 17 ليتفضل!!

تجمد بوليفيا في مكانه وقال: اللعنة!

نظرت إليه الموظفة فنظر إليها وهو يشرب

الحليب...فوقف متوترا وقال لها :

هاهاها...هاها! ، لا تقلقي إنها جزء من

المسرحية هاهاها!

ΔΔΔΔΔ

وقف الجوكر الأسود على المنصة الخشبية والإزار الأحمر من وراءه ، لقد كان يرتعد في قلبه ، فهو الآن يقابل شعبا غفيرا من الحضور ولا يملك أية فكرة عن ماذا سيقدمه هذه الليلة

إن البائس الأسود وضع نفسه في ورطة ليخرج من أزمته

ضحك ضحكة هستيرية ، حيا الجماهير بيديه كأنه متمكن من عمله ، لقد بدا متحكما في نفسه وغير مضطرب ،انطفأت الأضواء ولم يبقى سوى نور خفيف ينبعث فوقه ليتمكن الناس من رؤيته ،انتزع معطفه الأسود ثم وضعه

على الأرض ، كان مظهره أكثر من رائع بسترته السوداء على قميصه الأبيض ، حتى سرواله الأسود تناسق جيدا مع حذاءه الكلاسيكي الطويل، شاءت الصدفة أن يلبس هكذا في هذا اليوم ، إنها ملابس مخصصة فقط لمقابلات في العمل أو مناسبات مميزة ، وهذه ربما أجمل مناسبة لبوليفيا على ما يبدو...

فكر بوليفيا قليلا ثم أحضر كرسيا خشبيا وبدأ يقلبه يمينا وشمالا يحاول أن يربح بعض الوقت كي يفكر في ما يجب أن يقوله ثم حدث نفسه

قائلا: اللعنة! لقد حل الصمت على المسرح يجب أن أبدأ...!

التوى لسانه فاكتفى بمشاهدة الجماهير تتأمل فيه وتنظر إلى شخصه المثير للجدل...

شخص نحيف...يضع قناع الجوكر ولا يبدو عليه أنه مهرج نظرا لمظهره الذي يدخل الريبة والقلق في النفوس

ارتبك بداية فقال لهم: شاهدت الكثير من الأفلام واعتقد شخصيا أن أجمل الأفلام هي التي كانت قصصها تدور بين الهنود الحمر

السكان الأصليين لأمريكا ورعاة البقر المستعمرين

صمت وقال في نفسه: تبا! هذه ليست أبدا فكرة مهمة...ماذا سأفعل بالهنود ورعاة البقر؟؟ يجب أن أجد فكرة أخرى !

هل تعرفون من هي أول مرأة غسلت شعرها بالشومبوان ؟؟

فرد عليه صنف من الجماهير المتشوقة: لا! لا لا!!

تبسم وقال: هاها! ، أنا أيضا لا اعرفها!!

لقد كانت بداية مرتبكة للمهرج الجديد ،
يبدو عليه أنه مشوش ، فضحكاته توحي أنه في
أسوأ ساعات حياته..

تنفس بعمق ثم قال: هل تعرفون شيئا آخر؟؟
..نحن نكبر كي لا نبقى صغارا!

ثم راح يضحك وحده: هاهاها....هاهاها!

لم تكن الجملة السابقة مضحكة أبدا،
إلا بعض الأصوات المعجبة كانت تسترق من
بعيد...لم يجد المسكين بعد هذه العبارات
كلمات ملفتة فاختار أن يحكي لهم
عن الجوكر فقال: ربما تعتقدون وجه الجوكر

قناع للتسلية؟؟... لا لا! ، هو ليس كذلك أبدا ، فوجه الجوكر يعبر عن الغموض النفسي في شخصية الإنسان الباطنية...لقد رأيت شخصيا ملامحي في مرآة الجوكر ، هذا الجوكر رجل يدرك جيدا أنه على خطأ في كثير من أفكاره ولكنه في الواقع ذكي جدا... كان يكافح على طول الزمن من أجل أن يتغلب على خصمه ولو لمرة واحدة فقط...هذا حتى لا يعتقد الناس دوما أن باتمان هو وحده البطل الذي يمثل الحق المطلق في الأرض...

لم يشعر الناس بأية إثارة فكاهية واستمروا في صمتهم ينظرون إلى بوليفيا مستغربون

في حديثه المنقطع، حاول المقنع التحكم في نفسه فواصل حديثه وهو يتسارع بعض الشيء قائلا: لو أنكم تشاهدون كيف احرق الجوكر كل تلك الأموال التي سرقها ستشعرون بالألم بدون شك ...نعم أحرقها! أحرقها وهو سعيد جدا...لقد استمتع بذلك كثيرا...لم يفعل ذلك لجنون أو هلوسة في رأسه وإنما ليخبر العالم أن المال الذي نكاد نعبده لا ينبغي له أن يسيطر على حياتنا إلى هذه الدرجة

...لم تفهم الجماهير بعد ما هي الفكرة الأساسية لهذا المهرج...

لقد دخل المهرج بالجميع في متاهة

جديدة فيها نوع من الغموض والجدية

مع الواقع ، إلى أين سيذهب الجوكر

في كلامه بعد ذلك؟؟

...تنهد بوليفيا كأنه يسترجع أنفاسه الضائعة ثم

قال: نعم لقد كان الجوكر محقا ، ربما لو كنت

معه كنت سأساعده على حرق كل تلك

الأموال، فهي ليست لنا نحن المساكين ،

إنها فقط ملك للأغنياء والبورجوازيين ومافيا

السياسة...ماذا ربحنا نحن من كل هذه الأموال

التي يضخها البنك؟...لم نربح شيئا! ،

...كثير من الناس يعملون ليلا نهارا ليتقاضوا راتبا شهريا زهيدا لا يغير شيئا من حياتهم ، إننا نعيش فقط لخدمة هؤلاء الأغنياء المتوحشين ، أما نحن الفقراء ترانا ندور حول نفس نقودنا، نعم! ، نعم! ، نقودنا تبقى كما هي أو تنقص، تخرج وتدخل إلى جيوبنا لا تزيد فينا شيئا ، يجب أن نعترف بأنها نقود قليلة لا نستطيع بها تحقيق أحلامنا

وبينما هو يواصل كلامه حول هذا الموضوع الحساس في المجتمع ظهر عبوس شرس في وجه بعض الحاضرين من الطبقة العليا فأخذوا يسبون بوليفيا وبعضهم ألقى عليه

سندويتشات ورقائق البطاطا...ومن هنالك صافرات ساخرة تحتد على أذنيه بشدة ، فهل سيواصل بوليفيا حديثه هكذا أم سيغير المقال ويستسلم؟

بعد كل ذلك الضجيج حل الصمت مرة أخرى ، فوضع بوليفيا ركبتيه على الأرض ثم حمل سندويتشا في يده ، وقال: أنا سعيد جدا لأنكم جازيتموني بهذا الساندويتش! ، إنه البرغر الذي كنت أبحث عنه طوال حياتي! ، ليس من السهل جدا أن نحضى نحن المساكين بهذه المأكولات

أخذ عضة منها ثم قال: مممم لذيذة! ، شكرا لكم ، هل تريدون مشاركتي؟

ساد بعض الحزن على الوجوه التي كانت غاضبة ، و جل الذين كانوا سيخرجون من المسرح عادوا إلى أماكنهم..

ضحك بوليفيا فقال: يبدو أنكم تأثرتم! هاهاها...نعم هذه هي الحقيقة!...الفقراء لا يقدرون على شراء ساندويتش ، إنهم فقط يستحيون من قول ذلك أمامكم ، أنتم تعلمون كيف أصبح الجميع يتعفف ويتظاهر على انه غني سواء في الشارع والمقاهي والمطاعم ،

هذا حتى لا يعايره الناس بالفقر ، نعم! عاد

المرء يقترض المال ويسرق ويكذب فقط

كي يقول الناس عنه فلان يلبس ماركة عالمية

ويأكل بيتزا بسمك التونة...اه خاصة! إذا كان

معه فتيات وأصدقاء...سيصرف في المطعم كل

ما لديه...ثم! ، ثم عندما يمر بالقرب

من الحانوت يبدل طريقه حتى لا يتذكر الديون

المكدسة في كناش التاجر...إننا جميعا نتظاهر

بأننا أغنياء لكون الفقر أصبح عيبا بينما

الاحتيال أصبح فطنة ، ربما أنا الفقير الوحيد

بينكم أليس كذلك ؟؟ هاهاها!

سكت قليلا كتعبير عن حزن في قلبه ثم أضاف: نعم ، نعم! ، الفقر عيب كبير !

....صدقوني! هذه هي الحقيقة في زماننا ، لذلك شباب اليوم لم يعد يتحمل بقاءه في هذه الأرض ،شباب الغد يفعل أي شيء ليحصل على المال ، يبيع ذمته في الأحزاب بل ويتحمل الذل في المحلات ويكذب في التجارة ، وكثير منهم اختار عدة طرق المحرمة ليربح المال ويأخذ مكانا له مع الأغنياء...والذي لم يكن محتالا مات بالغيظ في قلبه ، وربما أكلته الأسماك وهو يقطع البحور السبعة أملا في تجديد حياته

...هاهاها ، نعم! ، يجب أن تكون فاسدا

لتعيش في رفاهية...أغلب الذين اختاروا

الحلال منهجا يعيشون في بؤس ، اسألوا

المعلمين والموظفين العاديين وحتى الطلبة

الجامعيين في المحلات ، إنهم لا يعرفون حتى

كيف يتصرفون بأموالهم في يوم حصولهم على

الأجرة ، فالحياة مطالب ونحن الوسيلة البائسة

لتحقيق كل مطلوب ، وحياتنا لسوء الحظ

مبرمجة سياسيا على السير وراء مطالب

لا تنتهي ، نحن روبوتات تعيسة! ، لا أرى أبدا

بأنه الوقت المناسب لنتفاءل!

جلس على أرضية الخشبة كأنه متشرد ثم قال: إنكم لا تعرفون أبدا ما الذي حدث معي قبل أيام ، لقد بعت أجمل معطف حصلت عليه في حياتي !

ثم ضحك قائلا: هاهاها..هاها ، هل؟ ، هل تشعرون بما أشعر به؟

عاد إلى كرسيه ، جلس منحنيا مائلا بظهره ووضع يده على جبينه ثم قال بهدوء: إنه لمؤسف جدا الذي يحدث معنا، ترى الجميع صابر ويخجل من قول الحقيقة...لكن!.. لكن لا تقلقوا أبدا، أنا هنا! ، نعم أنا هنا لأخبركم بكل شيء و دون تحفظ...وتبا للجميع

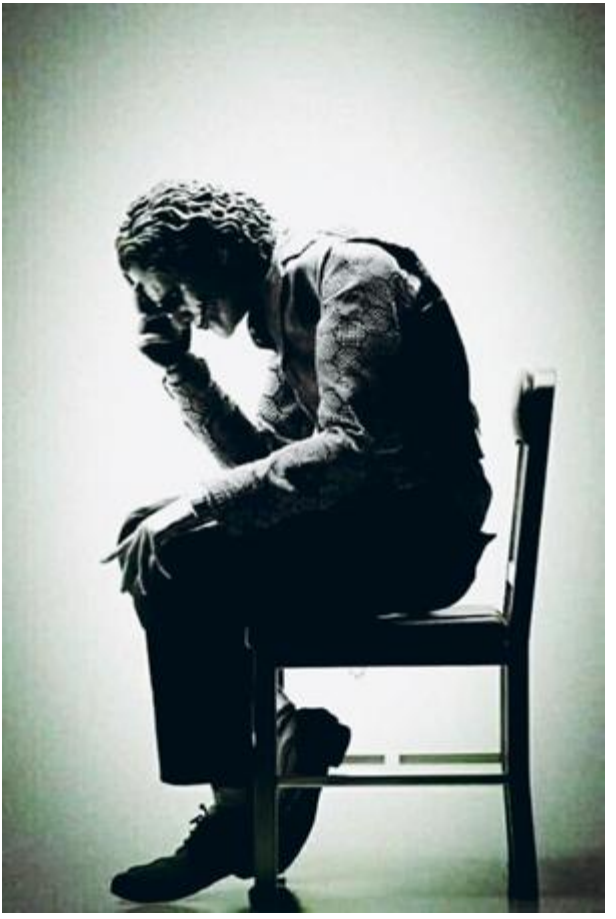

بجدارة نجح بوليفيا في احتواء الجماهير وجذب قلوبهم إليه ، وهم أيضا بنظراتهم المعجبة إليه أعطوه دافعا قويا لمواصلة عرضه حتى تجمعت دمعة في عينيه وسقطت على المنصة

فقال كأن الغيظ يمتزج مع كلماته: أنتم تعرفون جيدا أنه لا ينبغي لنا أن نتحدث بكل صراحة داخل هذا المجتمع المغفل الانتهازي ، بل يجب أن نكتم أفكارنا ونستمر في الارتباك من الداخل ونصمت حتى يعتقد الناس أننا

بخير وأقوياء ، ومن يجرأ فيتكلم عن الواقع المقلوب ننعته بالجنون وغريب الأطوار، إلا أنني أنا أصر كل مرة على أن أقول الأشياء التي تقلقني في قلبي، كنت أكره كثيرا أن يسكت المرء في الوقت الذي يجب فيه أن يتكلم، ولهذا أقول دوما اللعنة على هذا الهراء الذي نحن فيه إلى يوم دين !

...من الواضح جيدا أننا نحن نعيش بشكل مكذوب ولا نريد أن نعترف بذلك، نحن نخشى نظرة الناس إلينا...لأن نظرتهم حقيرة وتضرنا...تبا لهم!

توقف هنيهة وأكمل حديثه : وبسبب ذلك! ،
عندما لم يجد الناس مخرجا من هذا البؤس
اختاروا أن يعيشوا بشكل مرقع ، فالمساكين
لما يتملكهم الضعف في أنفسهم يقومون
بصناعة أكاذيب من حولهم يقولون لبعضهم :
كن قويا! ، انهض بنفسك! ،اعتمد على
قدراتك!...أنت تستطيع! ، وفي الحقيقة يكون
الإنسان أمامهم مدمرا من كل الجوانب ،
لم يبقى له سوى نفس أخير يقف به ، الشقي
يكون حاله في تلك اللحظة كحال المقتول
الذي يطلبون منه إحياء نفسه من جديد

ضحك بوليفيا بهستيريا شديدة فاتحا ذراعيه

وقال: هاهاها...هاها! أبدو لكم مجنونا ؟؟

هاهاها...هاها! سحقا إنها الحقيقة !

حرك رأسه كأنه متحسر على الوضع الاجتماعي

فأضاف قائلا: انظروا! انظروا فقط إلى

أنفسكم! ، ألستم تعانون من الإدمان على

الفايسبوك؟؟ ، ليس الأمر غريبا أبدا ،بل هو

دليل واضح على أن الواقع ليس في أحسن

الأحوال ، وهناك خلل كبير في تسيير المجتمع

،هي صورة صارخة تصور لنا ارتفاع نسبة الفراغ

عند الأفراد...والفراغ دليل على البطالة

والتفكك الاجتماعي، إن الأمر ليوحي لنا أن هناك مشاكل جمة تحدث في الواقع ، والمؤسف انه ليس هناك منابر حقيقية لتحاول علاج هذه الأزمات الخطيرة ، فحتى بعض الأحزاب والجمعيات خانت ثقة الناس ، والناس كذلك خانوا بعضهم ، إلا أنا!، نعم إلا أنا ، قررت أن أكون مهرجا وجئت هنا كي اعري كل شيء...

أخذ الأمر بجدية وأضاف مباشرة بصوت غليظ: لقد مللت من التزييف!

غلظ صوته أكثر كأنه وحش ثم صرخ:

لا يبدو بتاتا أن الحياة جميلة في إفريقيا والشرق الأوسط!...ولا يمكن للتفاؤل أبدا أن يحل مشاكلنا في زامبيا...فنحن نولد في وسط متعفن مليء بالهراء...لهذا السبب نشهد كراهية مستمرة على المدى الطويل...حتى ذلك الحب الأحمر المزخرف ليس بتلك الصورة التي نحلم بها في خيالنا المتصوف

ضحك بجنون مرة أخرى وقال: إنني أذكر جيدا، نعم أنا أذكر ذلك لما أخبرتني جدتي قبل عشر سنوات أنه سيتغير كل شيء ،

ولكنني أصبحت شابا ولاشيء تغير حتى الآن ، إننا نعيش نفس المعاناة ونتجه نحو مصير محتوم لا نريده

هدأ قليلا ثم تكلم بصوت رقيق: أرجو منكم أن لا تقلقوا من كلامي!، أنا فقط أحاول أجبر خواطركم بالكلمات السوداء التي تتمنون قولها للناس وتختلج في نفوسكم رغما عنكم ، فبطريقة أو بأخرى فإن كلامي شيء جميل ورائع ،يشرح النفوس ويشعركم أنكم أغبياء لدرجة ما...ثم يجعلكم تعرفون العالم على حقيقته السوداء

توقف ثم عاد يقول: لقد بدا من الواضح إنني متشائم ، نعم أنا متشائم ، إنني أرى بأن الحياة هنا صعبة ومعقدة وفيها كثير من الهراء ، نعاني من أزمات السكن والبطالة والعنف الإداري ونجد عراقيل كلما حاولنا أخذ حقوقنا ، والأسوأ من ذلك أن الناس تعيش في جهل وتتجرأ على الغش والكذب بدون هوادة ، فأين هو المعتوه الذي يستطيع أن يقنعني أننا بخير؟

عاد إلى كرسيه مرة أخرى واضعا يداه على رأسه قائلا: لقد اعتاد المسكين هنا أن يخفي أوراق شخصيته خشية من الناس وتجنبا لأي تحليل

بسيكولوجي من أحدهم...فعندما يتعلق الأمر بنفسيتك المحطمة تصبح أنت الوحيد المريض في العالم ، بينما العالم من حولك كله مختص نفسي ...

ثم نزل بجسده ينظر إلى الجماهير وقال: ليس لدي رغبة في أنافق من اجل إرضائكم...لست أشبهكم أبدا، أنا متأكد أن الفقير يعيش على الهامش، نقوده لا تكفي لان يعيش سعيدا مثلما نرى في الصور المزيفة ، فحتى لو كان "توني مونتانا" يعيش معنا ستراه يفشل في بقعتنا

...هاهاها ، لما كنت صغيرا في المدرسة ،كان لدي أصدقاء أغنياء وكانوا يخبرونني أنهم يدخرون النقود لمستقبلهم ، فأحضرت علبة طماطم فارغة ثم بدأت أضع فيها دراهمي ، لم تمضي ساعة واحدة حتى وجدت نفسي أصرف كل نقودي لأشتري آلة حاسبة علمية ، فعلت ذلك كي لا تضربني معلمة الرياضيات للمرة الثالثة ، لهذا يقول العلماء في الرياضيات أن الخطأ إذا لم نصححه في العملية الأولى سيشكل لنا أخطاء كثيرة في المسألة ومنه يذهب العالم إلى الجحيم...ونحن بهذا

الشكل العشوائي الذي نعيش فيه يبدو واضحا أننا ذاهبون إلى جحيم أسود

مد ذراعيه إلى الأسفل نحو الأرض ثم قال: هل أخبركم بشيء آخر؟؟

أكبر كذبة عرفتها في حياتي هي عندما قيل لي انه من العادي جدا أن تعمل في المقاهي أو بائعا بسيطا في محل للملابس والمواد الغذائية ، كانوا يخبرونني أنها حالة مؤقتة وتزول ، وهناك من يستحمر عقلك ويؤكد لك بأنك تتعلم خبرة في الحياة وأن كل العظماء تألموا ،لكن في حقيقة الأمر هي كلها أكاذيب تجعلنا

نتعود على تحمل الظروف الهزرية وذوق المرارة بالثواني...تلك تجارب بائسة لا أتمناها أن تتكرر مع الأجيال اللاحقة ، بالعكس يجب أن نرفض كل أشكال الاستغلال البشري ونحاول أن نحارب كل أنواع الإستغباء التي تسلب كرامة الإنسان

أنا متأكد أن الناس جميعا يمكن لهم أن يعيشوا حياة عادية بدون مشقة كبيرة ، يمكن ذلك لو يرفضون كل أنواع الاستغلال والظلم ، لكنهم أغبياء يحبون القيل والقال والتشابك والهستيريا والصعود والنزول والتعب من اجل

الحصول على لقمتهم ثم يشيبون على البؤس

ويفتخرون بشقائهم كأنهم عاشوا أبطال ،

ولو أنهم صبروا يوما واحدا رافضين للمهانة

كانت ستتغير حياتهم إلى الأفضل ،لكن

نفوسهم تخوفهم من المستقبل فيختارون

العبودية منهج حياة وبطريقة معقدة للاستمرارية

بدون مشاكل ، وفجأة وجدنا حياتنا مرهونة بين

قوسين ، نقف على صحيف ساخن ، إما أن

نصبر حتى الموت أو نطالب بالكرامة فتحدث

الفوضى في الوطن ، فلماذا؟..لماذا؟ لم نبني

مجتمعنا على أسس متحضرة بالمعرفة

والانسانية والفكر ، هل يجب دوما أن نأخذ الطريق الخطأ لاعادة برمجة حياتنا؟

...نعم!، إنني أبدوا مجنونا! ، لكن هذه مهنتي ، انتم أيضا تضحكون من داخل قلوبكم لأنكم تعلمون أنها الحقيقة ، لكنكم تظهرون الاستغراب على وجوهكم لأنكم لا تفهمون كيف تجرأت لقول لذلك...لذلك يجب أن تعلموا أمرا ، أنا لم يعد لدي شيء اخسره...لهذا اخترت أن أصارحكم اليوم ، هاها...هاهاها! الأمر صعب صدقوني! ، أبدو كأنني مجنون حقيقي في هذه السهرة! هاهاها ...هاهاها..هاها !

رفع عينيه مباشرة اتجاه الجماهير فقال:

هناك مرحلة من المعرفة يصل إليها العقل لا يفهمها سوى صاحبها فيتفوق عليكم بعلمه وإدراكه ، ولكنه قد يجد صعوبة في تفسير الأمر لكم فيعتبركم جميعا أغبياء وجاهلين ، أما أنتم أيضا فمن زاوية أخرى ستعتقدون أنه زنديق يهلوس عليكم وتعتبرونه مجنونا ، وهكذا يتضح أننا زامبيون ضائعون في العالم الثالث ومازلنا ضحايا في حلقة الصراع بين الجهل والجنون ولم نصل بعد إلى مستوى العقل المتقدم ، إننا نحتاج لكثير من الوقت كي نخرج من هذه الأزمة التي تؤرق إفريقيا

...ببساطة نحن نتخبط في الهراء

كالسمكة التي تحتضر على شاطئ البحر

ولا أحد يتحسر عليها لأنها مجرد سمكة

....تخيلوا فقط لو لم يكن هناك علاج

نفسي في طبيعة الحياة ، ولم يكن هناك

بحر وغابات وآيات الله في الأرض والورود

الجميلة وضحكات الأطفال ، ماذا لو لم

يكن هناك تعابير وفنون جميلة نطرد بها

مشاعرنا السوداء ، بالكاد كنا سنعيش

مجانين ، فهذا الواقع يصور جليا أننا نحن

البالغين أكبر الأغبياء في الأرض ونعتقد أن

الصغار أشد حمقا...جميعنا مضطربون

ولكن لا نخبر أحد، لأن الشامتون قي كل مكان

حك رأسه ثم وقف من مكانه قائلا: حسنا! ، حسنا! لا أطيل عليكم دعونا نغير الموضوع !

...أود إخباركم بأن الهنود الحمر لم يستعملوا مزيل العرق طيلة حياتهم لأنه لم يكن لديهم أي مشكلة مع العرق والرائحة الكريهة...

سكت ثم قال: بما أنني كنت صاحب أعلى معدل وطنيا اخترت تخصص طب الأسنان في الجامعة ، هذا كي احرص على سلامة الأفراد في المجتمع وأقوم بالقضاء على السواد

في أسنانهم ،تلك الأسنان الجميلة التي أصبحت لا تقاوم في ظل هذا البؤس الاجتماعي القذر

....هاهاها! لا أدري كيف انتم تتناولون "النوتيلا" يوميا ، لقد صدمتني سكتة قلبية هذا الصباح فعندما دخلت إلى الحانوت وقرأت سعر"نوتيلا" ، قررت أن أشتري الزبدة فقط وليذهب الحانوت إلى الجحيم ، سنأكل في الجنة ما هو أفضل من النوتيلا، تبا لهم! هاها...هاهاها...!

...اعرف أنني لست مهرج رائع! ، وأنتم كنتم تنتظرون مني أن اقتل قلوبكم بالضحك، ولكنني للأسف! أنا حزين جدا! كيف تريدون مني أن أضحككم؟؟

....منذ سنوات وأنا ابحث عن عمل مناسب ومستقر لكنني لم أجد أي عمل...كأن العمل يكرهني ،ليس الأمر أبدا بتلك السهولة ، لو أنكم تشاهدون كيف يعامل الشاب عندما يبحث عن العمل ستحسبون انه متسول في الشركات ،كأنه يطلب من المدير معروفا أو إكرامية ، لقد أصبحت البطالة شيئا مقززا

صدقوني! ،من السيئ جدا أن تعيش في الحياة بدون عمل ، لن تستطيع أن تتحرك بدون مال في جيبك ، تبا! كيف سأفسر لكم ذلك؟؟

في هذه اللحظة سقطت دموع من بعض المشاهدين ، ودوت تصفيقات حارة من الجماهير

حط رأسه على عنقه وقال : تأكدوا جيدا انه من الظاهر قد يبدو لكم المرء صابرا لكنه يتمزق من الداخل كأنه حذاء قديم

...وعن قريب ربما تجدون الشباب يلبسون قش النساء لتكون لهم حظوظ في المناصب

،انتم تعرفون ذلك! ، هاهاها إن المدراء
لا يطلبون في الشركات سوى النساء ،لأن
النسوة يتحملن كل شيء في العمل ،إنهن
يصبرن ويقبلن براتب زهيد ، ليس أبدا مثل
ذلك الرجل ذو الشوارب، تراه دائما يرفض
المهانة ويطالب يوميا براتب أفضل لمستقبل
زاهر ، أنا لا استبعد أن تصبح النساء ربات
البيت والرجل جليس أطفال ، هاهاها! صعبة
هي الحياة هنا ، هاها..هاهاها إنها صعبة حقا!!

...وإنها لحقيقة مرة والأغلبية تغطي الشمس
بالغربال...لقد اعتدنا العيش بهذا الشكل القذر

كأننا في غابة زامبيا، للأسف! ، فحين لا يعرف البشر ذواتهم الإنسانية يتحولون إلى وحوش غبية...وحوش لا تعرف كيف تعيش و لا تعرف حتى كيف تموت...

جلس المهرج الأسود على الكرسي مرة أخرى يبدو عليه أنه شعر بالتعب...وضع يده على ذقنه ، نزع القناع من وجهه وبدأ البخار يخرج من قميصه كأنه رجل فحم مخيف..أغمض عينيه وقال: أنظروا! ، أعترف أنني أسود سوداوي مظلم لكني لم أكذب على نفسي ولو في الأحلام

كشف بوليفيا نفسه أمام الجماهير واعتقدوا أن هذا الشكل المخيف جزء من المسرحية ولم يصدقوا أبدا كلام بوليفيا على أنه أسود ، لقد بدا لهم الأمر خيالا وحتى البخار اعتقدوه مجرد خدعة سحرية مجنونة

صمت ثم واصل يقول: يبدو أنني تكلمت كثيرا في مدينة مهجورة ...لم أعد أشبه الإنسان الطبيعي ، كأني مجلد ضخم لا حاجة للناس به...فأنا خرجت من الحياة ودخلت في سكرات البؤس ، أشعر أنني لست أعيش معكم...لقد فقدت وجودي على هذه الأرض الحدباء ، أصبحت كائن مختلف وأكاد أجزم

أن لا أحد يشبهني...كلماتي غريبة ، فمثلي كمثل نمر متوحش يصرخ لوحده في مكان بعيد بأدغال الآمازون..

....و قبل أن أختم ، صدقوني إنني أشعر بالذنب لأني لا أهتم كثيرا بكل أحبائي وأصدقائي وأقاربي ، وأحيانا لا أهتم حتى بنفسي ، أنا لم أعد أتحمل غباء البشر ، أنا أبتعد عن الهراء الفكري قدر المستطاع ، متى سيفهمني العالم الزامبي؟

حرك أصبع سبابته مضطربا ثم قال: أي إنسان يفكر مثلي ينبغي له أن يموت باكرا أو يحيا حتى يشتاق الموت...أنتم تضحكون بينما

أنا أتكلم بجدية! ،لكن! لا عليكم! إنها تبدو نكتة مسلية

....ثم إني كلما كفرت بالهراء دفعت الثمن مقابل ذلك ضعفين ، كأن الدنيا هنا لن تترك الرجل يعيش بخير حتى يقول: الهراء ربي ورب الناس أجمعين!

....وكثير من المشاهير أعلنوا وفاتهم حتى يرتاحوا من الضغط ، أنا غدا سأعلن وفاتي!

في الأخير تنهد بصوت عال فختم حديثه بمقولة "فيكتور هيغو" :

"إن القلب البشري لا يستطيع أن يحتوي إلا كمية محدودة من اليأس "

ΔΔΔΔΔ

كانت كلمة ختامية ملامسة جدا على قلوب الجماهير فانطلقت تصفيقات حارة هزت المدرجات بأكملها ما دفع الجميع يقف احتراما لهذا الرجل الأسود الشجاع ، وأغلب النساء سقطت دموعهن تأثرا بهذا الأداء المميز الفريد من نوعه...

أخذ كثير من الشباب والأطفال صور تذكارية مع الأسود ، غمرت السعادة قلوب الناس

وأحسوا بقلوبهم منشرحة ، فلقد سمعوا من المهرج الأسود بصدق ما كانوا يتمنون قوله ، وقبل إعلان الختام صعد المنشط على المنصة من جديد متشوقا لتقديم الفائز بجائزة أحسن فنان لهذه المناسبة ، فأخذ جميعهم يصرخ وينادي: بوليفيا!! ، بوليفيا!!! ، بوليفيا!!!

وطبعا، فاز رقم 17 بخمسة مليون دينار لأنه كان الفائز الأول بمشاعر الناس واستحق بمعنى الكلمة هذا النجاح ، وهو استحقاق لم يسعد بوليفيا بقدر ما جعله يندهش في نفسه كيف استطاع أن يقدم هذه المسرحية وكيف واجه المتابعين بشخصيته الحقيقية

لم يدم الاحتفال طويلا حتى انتشر بالمكان ضباب كثيف، ثم اختفى سريعا ، فظهرت المنصة سوداء والإزار أسودا وحتى الأرض سوداء بكراسيها

... لكن لا أحد شك في أن بوليفيا تسبب في ذلك ، اعتقد الجميع أن هذه التغيرات السوداء في المسرح من عمل القائمين على الإشراف الفني والتي تشير إلى الاختتام

ΔΔΔ

وضع بوليفيا الصك في جيب قميصه وخرج من المسرح يضحك كأنه مجنون أو مصاب

بهستيريا خيالية ، تقدم قليلا ونظر إلى السماء قائلا:يارب! ،أشكرك!! ثم أضاف: غريب! ، غريب جدا الذي يحدث معنا!

وجد حجرا كبيرا على شكل مقعد بقرب من كشك في وسط الشارع، فجلس يتأمل في الطريق خاوية ولا أحد معه من الأقارب ليتقاسم معهم سعادته أو يعانقه

ثم قال: لا يهم ،لا يهم! ،هاهاها ، هاها ، ها! ، أنا سعيد جدا!

تأمل في وحدته الساحرة وقال: ينبغي لنا كل يوم أن نأخذ ساعة معينة نجلس فيها لوحدنا

ونستغرب في هذه الحياة التي نعيشها ، كأنه مجرد حلم يسير بنا إلى المجهول ، ذلك المجهول الذي لا يأتي على بالنا ولا نريد أن نتوقعه أبدا

...نعم! ، كان جدي رحمه الله يقول لي عندما تكبر ستفهم يا ولدي! ، وحقا عندما كبرت بدأت اكتشف أن جدي كان محقا!

هدأ هنيهة وقال: نفسيتي اليوم تشبه تلك المرأة السعيدة بمولودها الأول...أنا مليء بالفرحة في قلبي ، وفي نفس الوقت أشعر أن العالم إشكالية تافهة خاصة عندما أجد نفسي لاعبا مجنونا في الدقيقة الأخيرة.

نزلت الأمطار بغزارة ولم ينهض بوليفيا من مكانه ، استمر يحدث نفسه وهو يسترق من بعيد صوت يشبه رنين الطوارئ ، كأنها سيارة شرطة تدوي من بعيد

ضحك بتهكم مقهقها ثم قال في نفسه: اللعنة! ، يبدو أنهم قادمون للاحتفال معي بهذا الإنجاز، سحقا هذا ممكن جدا!! ، فهناك دوما سافل خبيث يفسد علينا السهرة ، بدون شك هذا لا يكون سوى حقير ما قد أبلغهم أن هناك أسود غريب قد أيقظ إحساس الجماهير في المدينة

لم يحرك بوليفيا ساكنا لكونه متأكد في نفسه بأنه سيتصرف عن الشرطة بشكل أو بآخر ، فلقد لمح من بعيد عجوزا يحمل مكنسة ويرتدي سترة صفراء وقبعة روسية ، يبدو من المرهق عليه جدا تنظيف طريق الشارع في هذا الجو الممطر ، إنها فرصة الأسود كي يعمل صالحا ويريح السيد العجوز هذه الليلة .

***

المضمون

1 –الفاتح من ديسمبر.....12

2 –استرجاع الذكريات.....32

3 –الاستيقاظ من الحلم..... 96

4 –بعد ثلاثة أيام من العزلة.....128

5 –يوم الأربعاء 152

6 –ليلة مثيرة 195

- الفهرس 250

BOLIVIA17